الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران – السانيا–

كلية الآداب واللغات، والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية موسومة بـ :

الخطاب الحجاجي في ديوان لافتات2 لأحمد مطر

– مقاربة تداولية –

تخصص لسانيات

إعداد الطالبة: فوزية زيار

إشراف الدكتور: د– محمد ملياني

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د– ناصر اسطمبول رئيسا

د – محمد ملياني مشرفا مقررا

أ.د– عبد الحليم بن عيسى عضوا مناقشا

د– ميلود منصوري عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2011– 2012

إهداء:

إلى والديّ الكريمين أطال الله في عمرهما

أهدي ثمرات هذا العمل

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

كان للبحث التداولي الفضل في توجيه الدراسات إلى الاهتمام بالجانب الاستعمالي للغة وما ينجم عنه من انفتاح على دراسة الخطابات، شكل هذا الأمر دافعا قويا لبروز الكثير من الإجراءات التي أتاحت الفرصة للباحثين لاستكشاف عوالم الخطابات والوصول إلى مقاصدها وأهدافها، طالما أن أي خطاب يرمي إلى تحقيق الوظيفة التأثيرية والإقناعية، ناهيك عن الوظيفتين الإمتاعية والفنية الجمالية.

والحجاج بوصفه نمطا من العمليات التخاطبية، التي تدخل ضمن تفسيرنا للغة على أساس أنها نشاط كلامي يتحقق في الواقع وفق معطيات لسانية حاضر في جل الخطابات التي غايتها وجوهرها الإقناع والتأثير.

ونظرا لأهمية التحليل التداولي للخطاب، اعتزمنا البحث في الخطاب الشعري من المنظور الحجاجي التداولي، بالتركيز على خصائص البنية الحجاجية بوصفها عملية لسانية عقلية تعتمد مبدأ مساءلة الآخر، تمهيدًا لتعديل موقفه من الأشياء، مع تبيان الحجج وكيفية بناءها وترتيبها، انطلاقا من التحديد الاصطلاحي للحجاج باعتباره استراتيجية خطابية، وخطابا منتجا لمقاصد معينة في ظروف مقاميه خاصة، ما يمكن من تحديد كفاءة الخطاب الشعري وقوته الإنجازية، من حيث هو فعل كلامي كلي ومقامي، يصدر عن ذات فاعلة، تسعى إلى التأثير على الغير ودفعه إلى تغيير قناعاته، فإنه سيكون ميدانا خصبا لإبراز الجانب الحجاجي للغة الذي يجسد السلطة اللغوية للفعل الكلامي ضمن سلسلة الأفعال المنجزة لتبليغ فكرة ما إلى المتلقي، انطلاقا من أننا نتكلم بقصد التأثير.

وبما أن الشعر السياسي، أحد الخطابات التي تجسد هذه الاستراتيجية، قررنا أن لا تخرج مدونتنا المعتمدة عنه، ولعل الشاعر أحمد مطر من بين الشعراء العرب المعاصرين توظيفا للحجاج، وذلك يُعزَّى فيما نعلم إلى مروره بتجارب ونضاله الدائم في سبيل التغيير وإيمانه بالحرية بعيدا عن رقابة الحكام، وسلطة القمع وقتل الأفكار التحريرية الهادفة.

وقد تجلت هذه الاستراتيجية بشكل خاص في ديوانه "لافتات 2 1987"، الذي أثار ضجة كبرى في العالم العربي، وأثار حراكا فكريا وسجالا ثقافيا كسر به رتابة المشهد الثقافي العربي إبان تلك الفترة.

والحديث عن الحجاج يقودنا للإشارة إلى بعض الدراسات التي تناولته إنْ على مستوى التنظير أو التطبيق من قبيل **الحجاج في البلاغة المعاصرة محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، استراتيجيات الخطاب لعبد الهادي بن ظافر الشهري، اللسان والميزان لطه عبد الرحمن، في بلاغة الخطاب الإقناعي لمحمد العمري، أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم بإشراف حمادي صمود، الحجاج في القرآن الكريم من خلال خصائصه الأسلوبية لعبد الله صولة ، في تداولية الخطاب الأدبي لسعودي نواري أبوزيد**، لكنها لم تحفل بالخطاب الشعري المعاصر باستثناء دراسة **أبي بكر العزاوي** ضمن مؤلفه **اللغة والحجاج**، وهي الدراسة التي أفدنا منها وتبنينا نهجها في هذا البحث.

تناول البحث مسألة التحليل الحجاجي للخطاب الشعري من خلال مقاربة نصوص الديوان، وكان الهدف العام من وراء تلك الاجراءات التحليلية هو التأكيد على أن بعض النصوص والخطابات التي تنجز بواسطة اللغة الطبيعية حجاجية بامتياز، لكن مظاهر الحجاج وطبيعته ودرجته تختلف من نص إلى نص ومن خطاب إلى خطاب.

فالحجاج نجده في القصيدة الشعرية والمقالة الأدبية والخطابات اليومية، والمحاورات، وكذا اللافتات الاشهارية... وإذا كان الخطاب مجموعة من العلائق الدلالية المنطقية القائمة بين الجمل والأقوال، فإن كل حجة فيه تستدعي الحجة المؤيدة أو المضادة لها، وكل دليل يفضي إلى نتيجة، وكل قول يرتبط بالقول الذي يسبقه ويوجه القول الذي يتلوه.

فللحجاج بهذا التصور حضور في الخطاب الشعري، الذي لا يهدف إلى نقل تجربة فردية ذاتية فحسب. وليس لعبا بالألفاظ فقط. إنه يهدف بالأساس إلى الحث والتحريض والإقناع، وبما أن كل خطاب يفترض متكلما ومستمعا وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما، فإن الوظيفة

الحجاجية تبرز فيه بشكل جلي وواضح، وهذا ينسجم ويتساوق مع المقولة التي ترى أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، وأننا نتكلم بهدف التأثير.

وسعيا منا إلى محاولة استكناه نصوص الديوان وما تتيحه من تأويلات واحتمالات، فإننا استعنا بالنظرية الحجاجية للباحثين ديكرو وأنسكومبر على مستوى التنظير، محاولين تطبيقها على نماذج من الخطابات، وانتخبنا لذلك ثلة من القصائد، تعكس من خلال عتباتها الأولى (العناوين) نظرة حجاجية عميقة تبناها صاحبها.

والملاحظ على هذه العناوين هو أنها تعكس في جوهرها كافة مظاهر الإقناع، انطلاقا من ثنائية السبب والنتيجة، والتي تشكل حجة لصالح نتيجة هي إزالة الأسباب لتزول المسببات وهي بذلك ليست سوى انعكاس للواقع المر الذي عاشه الشاعر واكتوى بناره.

وما حفزني على اختيار الحجاج موضوعا لهذا البحث هو تزايد أهميته وتأثيره، باعتباره من مقتضيات العصر ومتطلباته، فنحن نمارسه في حياتنا اليومية، وتعزز هذا الاختيار أكثر في الفترة التي كنت فيها طالبة ضمن مشروع اللسانيات، من خلال المحاضرات التي كنا نتلقاها في مقياس اللسانيات التداولية، فكانت الأفكار تتبلور شيئا فشيئا إلى أن اهتديت إلى موضوع الحجاج.

وكذا ما تقدمه اللسانيات التداولية من اقتراحات لدراسة الخطابات الأدبية، ومحاولة استنباط المقاصد الكامنة في النص، بما في ذلك الأبعاد الحجاجية التي أضحت من مميزات هذا العصر.

زيادة على محاولة رد تهمة عدم صلاحية مثل هذه المناهج وفي مقدمتها المنهج التداولي وإجراءاته الحجاجية لدراسة الخطاب الأدبي عموما، والشعري منه على الخصوص، وأن صلاحيته لا تتجاوز الخطابات السياسية النثرية، وبعض النصوص الإشهارية.

لذا يقارب هذا البحث إشكالية الخطاب الشعري من منظور حجاجي، وينصرف إلى دراسة آليات اشتغاله داخل الخطاب الأدبي ويحاول ملامسة ذلك من خلال أسئلة جوهرية أهمها:

– إذا كنا نسلم أن النص الشعري يحتل جزءا واسعا في الفضاء التواصلي الأدبي، بل يمتد إلى فضاءات تواصلية أخرى، فيُستدعَى حينها بوصفه حجة أو دليلا أو شاهدا، أفلا يستجيب هذا إلى الدرس التداولي؟.

– ثم ما مدى قدرة النظرية التداولية على دراسة الخطاب الشعري السياسي؟

– وإذا كان الشعر انطلاقا وتخييلا، ومعنى منفلتا فكيف تجد النظرية التداولية الحجاجية ضالتها في مثل هذا النوع من الخطابات؟.

– وهل يمكن مقاربة الخطاب الشعري حجاجيا؟.

– أ نلمس الفاعلية الإقناعية في سلطة القائل أم ضمن بنية اللغة؟.

– ما هي الآليات والاستراتيجيات الحجاجية التي انبنى عليها الخطاب الشعري؟، وكيف يحقق الخطاب الأدبي حجاجيته؟.

– هل ثمة بنية حجاجية في إنتاج الشاعر؟.

تلك هي الأسئلة التي سيروم البحث الإجابة عنها، والتي سنرمي من خلالها إلى إيجاد مقاربة تداولية حجاجية للخطاب الشعري.

ومحاولة منا لإثراء هذه القضايا الإشكالية، ارتأينا أن نقسم هذا البحث إلى مدخل نظري وثلاثة فصول تسبقها مقدمة، وتعقبها خاتمة.

تناولنا في المدخل تقديما عاما للتداولية بالتركيز على الماهية، وأهم المفاهيم المندرجة عنها، ودرجاتها الثلاثة، ثم بعض ملامح البحث التداولي في التراث العربي.

وأما عن الفصل الأول الموسوم **بصور الخطاب الحجاجي**، فقدمنا فيه مفهوما عاما للحجاج ومبادئه وما يلابسه من مصطلحات كالبرهان والاستدلال والإقناع، ذلك أن الفهم الصحيح للمصطلح من متطلبات البحث الجاد، ثم عرجنا على خصائص الخطاب الحجاجي، مدرجين أصناف الحجاج وتقنياته، ثم عرضنا أهم الجهود التي تناولته الغربية منها والعربية، لنختم ببعض الملامح التأصيلية للحجاج في التراث العربي.

في حين تعلق الفصل الثاني **بالحجاج التداولي**، وتناولنا فيه أبرز الجهود التي تناولت الفعل الكلامي بالدراسة والتمحيص (أوستن Austin، سورل Searle، وغرايس Grice) باعتبارها شكلت اللبنة الأولى لبروز الحجاج التداولي عند كل من ديكور Ducrot وأنسكومبر Anscombre، ثم عرضنا مفهوم الحجاج التداولي وأهم مبادئه وآلياته.

أما الفصل الثالث التطبيقي الموسوم **ببنية الحجاج في الديوان** ، فقد حاولنا فيه إبراز الاستراتيجيات الحجاجية التي وظفها الشاعر، وتدّرج الحجج وبناءها مستثمرين ما ورد في الفصل الثاني من آليات، وفي الأخير خلصنا إلى خاتمة تتضمن أهم النتائج التي وصلنا إليها.

اقتضت منا طبيعة الموضوع الموسوم بـــ"**الخطاب الحجاجي في ديوان لافتات 2 لأحمد مطر – مقاربة تداولية –** " الاعتماد على الإجراء التداولي خصوصا في الفصل الثالث التطبيقي الذي يُقارب نصوص الديوان من منظور إجرائي تداولي، ثم أنهيناه بملحق ضمناه المصطلحات اللسانية الواردة في البحث.

محاولين أن نلامس آلياته الحجاجية الرامية إلى الإقناع والتأثير الذي طالما كان ينشده شاعرنا، علما أننا لجأنا إلى المنهج الوصفي في الفصلين الأول والثاني الذي يقتفي الأثر الحجاجي في الخطاب الشعري.

واعتمدنا في كل ذلك على عدد من المصادر والمراجع، بحسب القضايا المدرجة في صميم البحث، منها **المقاربة التداولية لفرانسواز أرمنكو** ، **التداولية عند العلماء العرب لمسعود صحراوي، التداولية اليوم لجاك موشلار وآن ربول، Quand dire c'est faire لأوستين.**

وأما فيما يخص النظرية الحجاجية، فقد اعتمدنا بعض المصادر باللغات الاجنبية كمؤلف ديكرو وأنسكومبر **l'argumentation dans la langue**، وكذا بعض المؤلفات العربية الرائدة من مثل **اللسان والميزان لطه عبد الرحمن** ، **اللغة والحجاج لأبي بكر العزاوي** ، **ومؤلف فريق الحجاج لجامعة منوبة** بتونس بإشراف حمادي صمود.

ومن المصادر العربية التراثية، نذكر **منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني، أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، البيان والتبيين للجاحظ، ومفتاح العلوم للسكاكي**، وكذا **الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي**.

أما عن الصعوبات التي واجهناها في إخراج هذا البحث، فقد تمثلت في صعوبة ترجمة بعض النصوص، وكثرة المصطلحات وتشعبها، على الرغم من تفضيلنا اعتماد المصطلحات الأكثر استعمالا وتداولا من لدن الدراسيين.

وختاما نحمد الله المعين ونشكره، على ما وفقنا إليه، كما نتقدم بخالص الشكر والامتنان لأستاذنا الفاضل الدكتور ملياني محمد الذي أفدت من أخلاقه قبل إفادتي من معرفته، تعلمت منه معنى العصامية في التعلم وروح المبادرة وقوه التحدي والعزيمة، إذ كان صبورا علي، مشجعا لي مهونا الصعاب، لكم أستاذي الفاضل أسمى آيات الثناء والعرفان، وخالص الشكر والامتنان.

كما لا يفوتني ان أتوجه بالشكر الخالص إلى السادة الأساتذ ة، أعضاء المناقشة الذين تجشموا عناء قراءة هذا البحث، وأنوه في الأخير بجهود كل من مد لي يد العون أساتذة وزملاء.

ونأمل بهذا أن نكون قد قاربنا الصّواب أو اتجهنا نحوه، فإن كان ذلك فللّه الحمد، وإن لم يكن فتلك محاولة على درب طويل وعلى الله قصد السبيل.

فوزية زيار

وهران في: 2011/6/12.

مدخـــــل

التداولية المبادئ والإجراءات

1- التداولية النشأة والمفهوم

2 - النظريات التداولية

3- التداولية في التراث العربي

تعتبر التداولية مبحثا من المباحث اللسانية التي ازدهرت إبان سبعينيات القرن العشرين، وهي تدرس كيفية فهم الناس بعضهم لبعض، وإنتاجهم لفعل تواصلي كلامي في إطار موفق ملموس ومحدد، وتتعامل مع المعاني التي يتغاضى عنها علم الدلالة. وتقع كأثر الدروس حيوية في مفترق طرق الأبحاث الفلسفية اللسانية ولكنها قبل أن تتحدد عرفت تشويشا وضبابية حتى أن بعض الدارسين نعتها بسلة المهملات*التي تلقى فيها مظاهر اللغة والتخاطب التي لا يمكن إدماجها ضمن الصرامة المنطقية التي تقتضيها النظريات اللغوية.

وهي في نشأتها مدينة لعديد من التيارات الفكرية، وقبل أن نتفحص المخاض الذي ولد فيه هذا الاختصاص، لا بد من تقديم نظرة عامة تتعلق بمجالها وطبيعتها وحدودها.

1– التداولية النشأة والمفهوم:

إن طبيعة الموضوع تقتضي منا الوقوف على مفهوم التداولية في وضعيها اللغوي والاصطلاحي، أما المفهوم اللغوي فينصرف إلى معان شتى، منها: التناوب، والتراع، والنصرة، والتنقل، فقولهم: تداولنا الأمر معناه أخذناه بالتداول وقالوا دواليك أي مداولة على الأمر، ودالت الأيام أي دارت، والله يداولها بالناس، وتداولنا العمل بيننا بمعنى تعاونا عليه فعمل هذا مرة وعمل هذا مرة[1].

كما أن مفهومها تتقاذفه مصادر معرفية عديدة، إذ اعتبرت ملتقى لمصادر معرفية مختلفة يصعب حصرها، فضلا عن تداخلها مع علوم أخرى، ما جعل مجالها ثريا وواسعا وعسيرا.

فالبحث التداولي ليس حكرا على اللسانيين فحسب بل تغطية العديد من التيارات من علوم مختلفة، وتتجاوز اهتماماتها إلى الأبحاث المتعلقة بالدلالة والتواصل، وتطغى على موضوع الخطاب

---

* ترجمة للمصطلح poubelle الذي استعملته أركيوني Orecchioni، ينظر، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، بلخير عمر، منشورات الاختلاف، ط1، 2003م، ص07.

[1] لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط1، 1990م، مج11، مادة "دول" ص 252.

لتصبح نظرية عامة للنشاط الإنساني [2]. ونظرا لاتساع حدودها أقر العديد من الدارسين عدم وضوح معالمها فهي درس جديد غزير إلا أنه لا يملك حدودا واضحة، فضلا عن عدم الاستقرار على مصطلح يشمل مقولاتها ومجالاتها العديدة.

أما في الوضع الاصطلاحي فنجد جذور المصطلح Pragmatique تعود إلى اللاتينية pragmaticus والإغريقية pragmatiquos بمعنى عملي، وقد ارتبط توظيفه في العصر الحديث بالفلسفة الأمريكية أو النفعية، ولكن في الحقيقة ثمة فرق بين التداولية يقابلها مصطلح pragmatique والبراغماتية أو الذرائعية كمذهب فلسفي ومن روادها وليام جيمس James *، وجون ديوي J. Dewey*، مترجم عن مصطلح pragmatisme والتي تهتم بقضايا الاستعمال اللغوي. وإذا كانت البراغماتية تعنى بخصائص استعمال اللغة عند المتكلمين، وردود المستقبلين، والنماذج الاجتماعية للخطاب، ثم تحولت مع أوستين * Austin إلى دراسة أفعال اللغة، ثم امتدت بعد ذلك واتسعت لتشمل نماذج الاستعمال والتلفظ وشروط الصحة والتحليل الحواري [3]، فإن الذرائعية تهتم بالفائدة العملية للفكرة كمعيار لصدقها، وتعتبر فكرة الموضوع ما هي إلا مجموعة أفكار لكل الوقائع المتخيلة، فهي نظرية فلسفية تلح على المكون العملي الفاعل للإنسان قصد بلوغ المعرفة[4].

---

[2] ينظر، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بوجادي خليفة، بيت الحكمة، الجزائر ، 2009م، ص63، 64.

* وليام جيمس William James فيلسوف أمريكي (1842، 1910) سعى إلى إلحاق علم النفس بالعلوم الطبيعية والوضعية، من مؤلفاته: Le pragmatisme 1907.

* جون ديوي John Dewey عالم بيداغوجيا وفيلسوف أمريكي (1859، 1952) صاغ فلسفة قريبة من نفعية وليام جيمس أطلق عليها اسم الوظيفية.

* جون أوستين John Austin، منطقي ولساني بريطاني (1911، 1960) درس الفلسفة في أكسفورد (1952، 1960)، لم تصدر له كتب إلى أن محاضراته جمعت في مؤلف عنوانه How to do things with words 1962.

[3] ينظر، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، بوقرة نعمان، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، 2006م، ص173.

[4] ينظر، مدخل إلى اللسانيات التداولية، دلاش الجيلالي، تر محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1992م، ص54.

أما في الثقافة العربية فقد تعددت التسميات العربية للمصطلح الأجنبي، وقيل البراغماتية، وعلم التداول، وعلم المقاصد، ومصطلح المقامية، السياقية، الإفعالية[5]، وغيرها من المصطلحات.

وتأسيسا على المفهوم العام للتداولية الذي يعنى بدراسة اللغة في الاستعمال، اقترح طه عبد الرحمان مصطلح "التداوليات".

يقول: "وقد وقع اختيارنا منذ 1970على مصطلح (التداوليات) مقابلا للمصطلح الغربي برغماتيقا، لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالته على معنيين (الاستعمال والتفاعل) معا، ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين، الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم" [6]. ثم يحدد المعنى الاصطلاحي للتداول، بأنه "وصف لكل ما كان مظهرا من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم "[7].

وأدى ربط اللغة بمقام استعمالها إلى استخدام محمد يونس علي مصطلح (علم التخاطب) بدل التداولية، يقول في هذا الصدد "أفضل ترجمة مصطلح pragmatics بعلم التخاطب وليس بالتداولية أو النفعية أو الذرائعية كما يقول عدد من اللغويين العرب توهما منهم بأنهما pragmatics و pragmatism شيء واحد، والواقع أن المصطلح الأول يطلق على الدراسات التي تعنى بالمعنى في السياقات الفعلية للكلام، وهو ما يتفق مع معناها الحرفي وهو علم الاستعمال – الذي يقابل الوضع عادة – يطلق على النشاط الذي يقوم به المتكلم في عملية التخاطب، ولذا فإن ترجمة pragmatics بعلم التخاطب أنسب – في رأيي – من الخيارات التي اطلعت عليها حتى الآن" [8].

باعتبار التخاطب يرتكز على نشاط الفرد في استعمالاته اللغوية لكن المصطلح الذي استخدمه

---

[5] ينظر، دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من خمسين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، الرويلي ميغان، البازعي سعد، المركز الثقافي العربي، ط2، 2000م، بيروت، لبنان، ص100.

[6] ينظر، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، عبد الرحمن طه، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 2، 2000م، ص28.

[3] تجديد المنهج في تقويم التراث، عبد الرحمن طه، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، ص 244.

[8] مدخل إلى اللسانيات، يونس محمد علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م، ص102.

المتوكل*، ووصفه الجيلالي دلاش بالخفة والسلاسة [9]، هو الذي صار شائعا ومهيمنا على استعمالات الدارسين.

تعددت مفاهيم التداولية ما يظهر أننا أمام تداوليات حسب فرانسواز أرمنكو Armengaud الفيلسوف لم تحدد بعد، مع أنها في قمة ازدهارها. ولعل من أبرز هذه التعاريف ما ورد عن الأمريكي تشارلز موريس* Charles Morris، بوصفها فرعا من فروع ثلاثة تشمل عليها السيميائية، أو علم العلامات Sémiotique، تهتم بدراسة العلاقات بين العلامات ومستخدمي هذه العلامات[10].وذلك في معرض حديثه عن الأبعاد الثلاثة للسيميائية:[11]

علم الدلالة Sémantique، وعلم التراكيب Syntaxe، والتداولية Pragmatique.

ما يميز هذا التعريف أنه عام، يجعل التداولية جزءا من السيميائية، كما أنه لا يحدد طبيعة العلامة التي يعالجها.

والتداولية عموما تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس الأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم، كما يعنى من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الأحاديث والخطابات، أو هي لسانيات الحوار والملكة التبليغية [12]، تسعى إلى الوصول إلى مقاصد المتكلم وأغراض الكلام، لأن المعنى لا يستقى من البنية وحدها بل من الجانب السياقي أيضا، وهكذا يتسع مجال التداولية ليشمل الجانب الضمني والمسكوت عنه من الكلام.

---

* من خلال مؤلفاته العديدة منها: اللسانيات الوظيفية – مدخل نظري–، الوظائف التداولية، قضايا أساسية في اللسانيات الوظيفية...

[1] ينظر، مدخل إلى اللسانيات التداولية، دلاش الجيلالي، ص01.

* شارلز ويليام موريس Ch. W. Morris عالم دلالة أمريكي ولد سنة 1901، من أهم كتبه أسس نظريات العلامات 1938م.

[10] ينظر، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، فان ديك، تر سعيد حسن بحيري، دار القاهرة، القاهرة، ط 2، 2005م، ص115.

[11] ينظر، في اللسانيات التداولية، بوجادي خليفة، المصدر السابق، ص 67، وينظر أيضا، أفاق جديدة في لبحث اللغوي المعاصر، نحلة محمود أحمد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002م،ص09.

[12] ينظر، مدخل إلى اللسانيات التداولية، دلاش الجيلالي، ص01.

وهناك تعريف لساني أخر لمار ي دير Marie Diller وفرانسوا ريكاناتي François Récanati وهو أن التداولية "دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية" [13].

يتضح من هذا التعريف أن التداولية في تعريفها تتعلق بدراسة اللغة في الاستعمال، وتسعى من جهة أخرى إلى الكشف عن الجوانب الإبلاغية فيها.

وأما جاك فرانسيس Jaques Francis فيرى أنها تتطرق إلى "اللغة كظاهرة خطابية، وتواصلية واجتماعية"، بينما انطلقت فرانسواز أرمنكو من مجموعة إشكالات مثيرة ترسم حدود التداولية، من مثل ماذا نفعل عندما نتكلم؟ ماذا نقول عندما نتكلم؟ من يتكلم؟ ولماذا يتكلم على هذا النحو؟، كيف يمكننا قول شيء أخر، غير ما كنا نريد قوله؟.

في حين عرفها دومينيك مانجونو * Maingueneau بأنها مكون من مكونات اللغة إلى جانب المكون الدلالي، والمكون التركيبي، وهي كمكون تداولي تعالج وصف معنى الملفوظات في سياقها، فالملفوظ نفسه (الوالد ليس هنا) مثلا يؤول حسب السياقات، كملفوظ تهكمي، أو كدعو ة لاحترام النظام، أو كنتيجة لمحاجة.[14]

في ضوء ما سبق نخلص إلى أن هذه التعريفات تتفق في كون اللغة اجتماعية، تمارس وفق قواعد الخطاب المتعارف عليها، وهي إذ ذلك لم تعرف بماهيتها، بل بإجراءاتها وتفسيرها للخطاب.

1-1- المرجعية المعرفية للسانيات التداولية:

تعددت المرجعيات المعرفية التي أفادت منها التداولية وتنوعت، إذ غذتها حقول معرفية عدة كالفلسفة التحليلية، وعلم النفس المعرفي، وعلوم التواصل، واللسانيات ويمكن إجمالها كالآتي:

---

[13] أرمنكو فرانسواز، المقاربة التداولية، المصدر السابق، ص08.

* مانجونو دومينيك D. Maingueneau أستاذ مبرز في الآداب الحديثة، له مؤلفات عديدة في اللسانيات الفرنسية وتحليل الخطاب، منها: Pragmatique pour discours littéraire.

[14] ينظر، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، مانجونو دومينيك، تر محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008م، ص101.

– الفلسفة التحليلية*:

استطاع روادها منهم فريج Frege*، تغيير بؤرة الاهتمام الفلسفي من موضوع نظرية المعرفة إلى التحليل اللغوي، ومنها انبثقت ما يعرف بالأفعال الكلامية [15]، تفرعت عنها اتجاهات، منها: فلسفة اللغة العادية أو الطبيعية، رائدها الفيلسوف فتجنشتاين * Wittgenstein، ثم تأثر به مجموعة من الفلاسفة وتتلخص جهودهم كالآتي:

أ فتجنشتاين:

يعتبر من الفلاسفة الأوائل الذين نظروا إلى الجانب الاستعمالي للغة، واهتم بمدى صحة الملفوظات أو خطئها وبعد ذلك قال بعدم الانفصال بين اللغة والفكر، وأن اللغة اجتماعية إذ لا وجود للغة خاصة بالفرد وانتهى إلى استبدال معنى تواصلية اللغة بالتعبيرية، فاللغة في نظره ليست وسيلة لإفهام الناس بقدر ما هي وسيلة للتأثير فيهم [16]، وتطرق إلى فكرة ألعاب اللغة، وخلاصة هذا المفهوم أن الأفعال التي نتلفظ بها ترتبط بأشكال الحياة وبالممارسات الاجتماعية التي نحياها.

ب– أوستين J. L. Austin:

عرف من خلال محاضراته في فلسفة اللغة المنشورة عام 1962، بعنوان كيف نصنع الأشياء بالكلمات How to do things with Words واللغة في مفهومه تتجاوز وظيفة الاتصال إلى

---

* نشأت الفلسفة التحليلية في العقد الثاني من القرن العشرين في فيينا بالنمسا، على يد الفيلسوف الألماني غوتلوب فريج Gottlob Frege (1848 – 1925) في كتابه أسس علم الحساب و يمكن حصرها في ثلاثة اتجاهات كبرى هي:
أ– الوضعانية المنطقية Positivisme logique بزعامة رودولف كارناب، ب– الظاهراتية اللغوية Phénoménologie du langage بزعامة إدموند هوسرل، ج– فلسفة اللغة العادية Philosophie du langage ordinaire بزعامة فتجنشتاين.

* فريج G. Frege عالم في الرياضيات وفيلسوف ومنطقي ألماني (1848، 1925) جدد النظرة إلى المنطق وتجاوز تحاليل ارسطو، مقترحا تحليلا يقوم على الوظيفة القضوية والحجة، ترجع إليه المفاهيم الأولى التي قام عليها المنطق المعاصر.

[1] ينظر، التداولية عند العلماء العرب، صحراوي مسعود، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 2005م، ص 21، 22.

* لودفيج فتجنشتاين L. Wittgenstein منطقي نمساوي تحصل على الجنسية البريطانية (1889، 1951) أستاذ الفلسفة في كمبريدج، اتجه إلى دراسة اللغة الطبيعية ووضع نظرية لعبة اللغة Jeu de langage.

[16] ينظر، المقاربة التداولية، أرمنكو فرانسواز، المصدر السابق، ص22.

وظيفة التأثير والتغيير، وجسد بعد ذلك فكرته القائلة إن كل قول ملفوظ يعد فعلا، وميز بين نوعين من الأفعال: أفعال ثابتة تقريرية (وصفية) constatifs، أفعال أدائية (إنجازية) performatifs حين النطق بها لا تصف واقعا، وإنما تؤدي فعلا كالأمر، والاستفهام، والالتماس.

ج – بيرس Perce*:

اهتم بدراسة العلامة انطلاقا من مفاهيمها الفلسفية، إلى حد أنه اعتبر الإنسان علامة، وحين نفكر فنحن علامة، كما ربط فهم اللغة بحال التواصل والمعنى بظروف الاستعمال، وهو من أهم ما أسهم به في نشأة الدرس التداولي.

ومن خلال حديثه عن التأويل، استخلص الدارسون ما يرتبط بمفهوم التداولية حين ميز بين الدلالة باعتبارها دراسة للمؤولات، وبين التداولية التي تدرس بقايا المؤولات ورواسبها.

د – ش. موريس Morris:

أسهم رفقة بيرس في تأسيس الدرس السيميائي، واعتبر التداولية جزءا من السيميائية، تعالج العلاقة بين العلامات ومؤوليها وانتهى إلى تعريف تداولي للغة على أنها نشاط تواصلي ذو طبيعة اجتماعية[17].

نظرية المحادثة :

للفيلسوف بول غرايس * Paul Grice، في مقاله الصادر عام 1975م منطق المحادثة تقود هذه النظرية إلى مجموعة من الأسس التي تنظم العلاقة الحوارية بين المتكلمين ، وتضم مبدأ التعاون [18] Principe de coopération ، يلتزم فيه كل طرف بمجموعة من المسلمات. والاستلزام الحواري، الذي يحصل بخرق إحدى المسلمات.

---

* شارل سندرز بيرس Ch. Perce (1839، 1914) مفكر أمريكي ورائد السيميائية الإنجليزية من مؤلفاته كيف نجعل أفكارنا واضحة؟

[17] ينظر، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، بوقرة نعمان، ص174.

* بول غرايس Paul Grice فيلسوف أمريكي (1913، 1988) من أهم فلاسفة اللغة ممن كان لهم أثر كبير في توجيه الدرس الفلسفي، من أشهر مقالاته: منطق المحادثة الذي ألقاه بهارفرد سنة 1975.

[18] ينظر، التداولية عند العلماء العرب، المصدر السابق، ص33، 34.

علم النفس المعرفي Psychologie Cognitive:

اهتم بالطريقة التي يشتغل بها الذهن البشري، وأفادت منه التداولية في نظرية الملاءمة Théorie de patience التي أرسى دعائمها كل من ديردر ويلسن * W. Deirdre، ودان سبربر Sperber وهي نظرية معرفية تدمج بين علم النفس المعرفي خاصة النظرية القالبية Modalité لفودور* Fodor 1883، وفلسفة اللغة، وخصوصا نظرية غرايس الحوارية 1975م[19].

1-2- أهم المفاهيم التداولية:

يقوم البحث التداولي على مفاهيم تعد من الأهمية بما كان وهي:

الفعل* Acte:

إن اللغة ليست فقط وصفا للعالم ونسخا للواقع، وإنما هي أحد أنماط تحويل اللغة من إصدارات صوتية إلى أفعال تضطلع بوظائف اجتماعية [20]. ما يعني أن الإنسان المتكلم وهو يستعمل اللغة لا ينتج كلمات دالة على معنى، بل يقوم بفعل ويمارس تأثيرا. وهذا المفهوم رسخه أوستين ليؤسس نظرية مهمة في كل مقاربة تداولية هي نظرية أفعال الكلام.

---

* ديردر سوزان ولسن Susan Wilson Deirdre، متخصصة في اللسانيات ولدت سنة 1941، تدرس في جامعة لندن، صدر لها بالاشتراك مع سبربر في 1989 La Pertinence communication et cognition.

* جيري فودور J. A. Fodor فيلسوف وعالم نفس أمريكي ولد سنة 1935، باحث في مختبر متخصص في الإلكترونيات، يدرس الفلسفة وعلم النفس منذ 1963 في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا MIT.

[19] ينظر، التداولية عند العلماء العرب، المصدر السابق، ص37.

* لقد أثار مصطلح Speech acts الذي جاء به Searle مصدر قلق وحيرة بالنسبة إلى الترجمات التي تناولته، في الفرنسية ما بين actes de langage،actes de parole، actes de discours، وعلى هذا المنوال سارت الترجمات العربية: أفعال اللغة، أفعال الكلام، أفعال الخطاب، ولقد انتبه Ducrot إلى هذه القضية، وذهب إلى أن حمل المصطلح على مقابلته بأفعال الكلام – les actes de parole، سيضطرنا إلى نوع من التناقض على اعتبار أن Searle نفسه يجعله جزءا من اللسان، وإذا حملناه على مقابلته بأفعال اللسان les actes de langue فإنها ستكون تافهة وغير مرضية، ولا يبقى إلا أن نحمله على مقابلته بأفعال اللغة actes de langage وهذا يجنب المصطلح الوقوع في النسقية السوسيرية، ينظر، التلفظ والإنجاز، علوي عبد السلام إسماعيلي، www. Fikrwanakd aljabriabed.net (n58-abdeslamalawi.htm) 08

[20] ينظر، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، بلخير عمر، ص 09 .

والمقصود بها الملفوظات المتحققة فعلا من قبل مستعمل اللغة في موقف ومعطى محددين. أي "ما يحققه مستعملو اللغات الطبيعية في مقاماتهم التواصلية من فعل، أي ما يصدر عن الاستعمال، ولا تكمن طبيعته في كونه إنجازا، بل سلوك لغوي أو ممارسة يستطيع المتكلم تجسيدها عبر العملية التواصلية"[21].

ووفق هذا التصور الذي أرسى دعائمه J. l. Austin وأجلى معالمه J. Searle*، أضحت اللغة تمثل فضاء للإنجاز والممارسة والفعل، حيث الأمر والنهي والإخبار والاستفهام وغيرها تمثل إنجازات لغوية.

السياق Contexte:

ويعني الموقف الفعلي الذي توظف فيه الملفوظات والمتضمن كل ما نحتاجه لفهم الكلام، أي مجمل الشروط الاجتماعية التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي واستعمال اللغة، أي المعطيات المشتركة بين المرسل والمتلقي والوضعية الثقافية والنفسية والتجارب والمعلومات الشائعة بينها[22].

الكلام Parole:

إذا كانت الجملة هي الوحدة الأساسية للتحليل في اللسانيات البنيوية، فإن الكلام هو أساس التحليل التداولي، الذي يخالف الجملة، وهو كما ذهب بنفنست Benveniste* نتيجة لفعل متحقق ضمن ظروف وأحوال سياقية، إن دلالته القول تتعدى دلالة الجملة، إن دراسته تعتمد على دراسة مختلف الأحوال التي تسببت في بنائه [23]. لقد أعيد الاعتبار للكلام في اللسانيات التداولية،

---

[1] ينظر، التلفظ والإنجاز www.fikrwanakdaljabriabed.net

* جون روجرز سورل J. R. Searle فيلسوف أمريكي ولد سنة 1932، تلميذ أوستين، اعتبر أن وحدة التواصل هي الفعل الكلامي، من مؤلفاته: les actes de parole indirect 1969، Sens et expression 1979.

[22] ينظر، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، المرجع السابق، ص 09.

* إميل بنفنست E. Benveniste لساني فرنسي (1902، 1976) قام بتدريس النحو المقارن في كوليج دي فرانس منذ 1937، أسهم في بناء التيار الوظيفي في اللسانيات البنيوية الفرنسية، من مؤلفاته: مشكلة اللسانيات العامة.

[23] ينظر، المرجع السابق، ص09.

بوصفه التجسيد الفعلي لما كان في حيز الإمكان أي اللسان langue، وإذا كان التجسيد عموما يمثل حدثا فعليا يتعلق بحدث التلفظ Enonciation، فإن العملية التلفظية تكون حين يوظف اللسان بواسطة فعل الاستعمال للسان.

ولعل ديكرو* O. Ducrot كان من الذين وقفوا على التمييز بين الجملة والملفوظ، إذ اعتبر الجملة كيانا لسانيا مطلقا، قيمته خالصة للدلالة اللسانية، أما الملفوظ فقد اعتبره الناتج الذي يأتي عليه التحقيق الفعلي للجملة داخل العملية التلفظية[24].

الكفاءة La compétence:

ويقصد بها تمشيا مع المعنى الأصلي للكلمة، إنجاز الفعل في السياق، وبعبارة أخرى يمكن القول، إن الكفاءة هي حصيلة إسقاط محور الفعل على محور السياق [25]، هذا السياق الذي يختلف المتكلمون في مستوياته، وبناء عليه تتحدد كفاءاتهم التواصلية.

وتعد الكفاءة التداولية – بوصفها قدرة تواصلية لمتكلم اللغة الطبيعي – أنساقا متعددة تتألف من خمس ملكات على الأقل وهي : الملكة اللغوية، والملكة المنطقة، والملكة المعرفية والملكة الإدراكية، وأخيرا الملكة الاجتماعية [26]. وبناء على هذه المعطيات يُصاغ نموذج مستعمل اللغة الطبيعية في كل جهاز واصف يتكون من خمسة قوالب هي القالب اللغوي، والمعرفي، والاجتماعي، والمنطقي، والإدراكي.

---

* أزوالد ديكرو O. Ducrot مدرس جامعي في عدة جامعات (فرنسا، ألمانيا، كندا، سويسرا) ولد سنة 1930، ركز بحوثه في السنوات الأخيرة على التداولية اللسانية، من أهم مؤلفاته: Dire et ne pas dire 1980، Les échelles argumentatives 1980، Le dire et le dit 1984 .

[24] ينظر، التلفظ والإنجاز، علوي عبد السلام إسماعيلي، www.fikrwanakdaljabriabed.net

[25] ينظر، في تداولية الخطاب الأدبي، نواري سعودي أبو زيد، بيت الحكمة، الجزائر، 2009م، ص30.

[26] ينظر، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، المتوكل أحمد، البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب،1995م، ص16.

واقترح المتوكل إضافة قالب آخر هو القالب الشعري [27]. وهذا ما نجد له حضورا في تقسيم القرطاجني (ت684هـ) للقوى إلى[28]:

أ- القوة الحافظة: تعنى بانتظام خيالات الفكر، وترتيبها في أقدار معينة، وتمييز بعضها من البعض، لتهب المرسل ما يناسب السياق.

ب- القوة المائزة: يميز بها ما يلائم الموضع والنظم والأسلوب والغرض مما لا يلاءم ذلك.

ج- القوى الصائغة : تتولى العمل في ضم بعض أجزاء الألفاظ والمعاني والتركيبات النظمية إلى بعض، والتدرج من بعضها إلى بعض، تتولى جمع ما تلتئم به كليات هذه الصناعة.

تعمل هذه القوى على إنتاج خطاب مناسب للسياق، ما يمكن المتكلم من تجسيد كفاءته التداولية.

القصد L'intention:

لا يقوم المتكلم بفعل ما، ما لم يكن نتيجة قصد، فالخطاب نوع من الفعل مقصود ومسيطر عليه ذو هدف، بحيث يجعل كل من أوستين وسورل المقاصد مركزا في التفريق بين المعنى التعبيري، وبين قوة الأفعال الإنجازية.

ولنجاح التفاعل التخاطبي لابد من حصول المماثلة بين العناصر الثلاثة، فهم المتلقي، ودلالة العبارة، وقصد المتكلم.

2- النظريات التداولية:

2-1- الدرجات الثلاثة للتداولية*:

غدا السياق الأساس الذي قامت عليه التداولية، بل عد المرتكز في معظم النظريات التي انبثقت عنها وأضحى الخطوة الأولى في تنظيم وهيكلة النظريات التداولية، ما أدى إلى ظهور ثلاثة تيارات

---

[27] يقسم المتوكل القوالب إلى فئتين: قوالب آلات وتضم القالبين النحوي والمنطقي، وتختص بالقدرة اللغوية، وقوالب مخازن تضم القوالب الأخرى وتختص بالسياق.

[28] ينظر، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، القرطاجني حازم، تح محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 3، 1986م، ص 42، 43.

* هذا التصنيف من اقتراح الهولندي هانسون عام 1974م.

مختلفة ومتداخلة في الآن ذاته. ويتم الانتقال من درجة إلى أخرى حسب التطور التدريجي للسياق ودرجة تعقده.

2-1-1- تداولية الدرجة الأولى: دراسة الرموز الإشارية

وتتعلق بالعلامات الإشارية، التي تتضح مرجعيتها في سياق الكلام الذي توظف فيه وهي أقوال مبهمة إذ ما درسناها خارج السياق وتتعلق بالمخاطبين، والزمان والمكان، فالضمائر "أنا" و"أنت" و"هو"، وإشارات "هذا" و"ذاك" و"الآن"، تعابير تختلف إحالتها بحسب استعمالها وتعد دراستها عند هانسون، مكونا للدرجة التداولية الأولى.

2-1-2- تداولية الدرجة الثانية: المعنى الحرفي والمعنى التواصلي

وتدرس طريقة التي يرتبط فيها الإنتاج اللغوي بالمقصد المعبر عن ه، والذي يتجاوز المعنى الحرفي، وتعنى بعملية انتقال الدلالة من المستوى الصريح إلى المستوى التلميحي، بالسعي نحو استخراج ومعرفة العمليات التي تكون سببا في ذلك، وتشمل نظرية قوانين الخطاب ومسلمات المحادثة عند غرايس، وما يندرج عنها من ظواهر خطابية كالافتراض المسبق والأقوال المضمرة والحجاج، وأما السياق هنا فهو مجمل المعلومات والمعتقدات التي يشترك فيها المتخاطبون.

2-1-3- تداولية الدرجة الثالثة: نظرية أفعال اللغة

وتدخل ضمن هذه النظرية الأفعا ل الكلامية، التي تنطلق من مسلمة مفادها: أن الأقوال الصادرة ضمن وضعيات محددة تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية ويتحدد السياق في هذا المقام من خلال الأبعاد الاجتماعية والفردية. فالفعل الكلامي لا يتحقق دائما بالصيغة اللغوية الموضوعة له، وذلك نظرا لتداخل السياق[29].

ويرجع ظهور هذا الصنف من الدراسة إلى رائدها أوستين J.L.Austin ، ثم تطورت أكثر مع تلميذه سورل Searle.

[29] ينظر، المقاربة التداولية، أرمنكو فرانسواز، المصدر السابق، ص 41-61.

3- التداولية في التراث العربي:

إن المتأمل في الدرس العربي، على اختلاف علومه، يجد أنه لم يفصل البنى اللغوية التي تناولها عن واقع استعمالها[30]، وهذا من أهم قيم التداولية، والتي لا تختلف كثيرا عما حدده اللسانيون حديثا من أن التداولية تهتم باللغة في استعمالاتها، دون تجريدها من تداولها العادي والحديث عن الموضوع التداولية في التراث العربي، ليس تأصيلا للمفاهيم المتناولة، وإنما تقديم لجانب من الأفكار الرائدة التي عرضها علماؤنا العرب قديما، فضلا عن عدم التنكر للذات.

ومن المواضيع التي استدعت اهتمامات العلماء العرب، التواصل اللغوي وعلاقته بالسامع والمخاطب، فهذا الجاحظ (ت 255هـ) يجعل من شروط التواصل الناجح أن يراعي المتكلم مخاطبه، " فلا يكلم سيد الأمة، بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة"[31].

وقد نهل هذا من وثيقة مشهورة في البلاغة هي صحيفة بشر بن المعتمر (ت 220هـ)التي دعا فيها إلى ضرورة الموازنة في الكلام بين أقدار المعاني والسامعين والحالات.

وبذلك ينتقي المتكلم ألفاظه وينظمها على ما يقتضيه مقصده ومبتغاه في الكلام مع مراعاة السامع، بل قد يغدو السامع معيار الكلام أحيانا، مثلما يفهم من كلام أبي هلال العسكري (ت395هـ): "إذا كان الكلام قد جمع العذوبة...وورد على المعنى الثاقب قبله، و لم يرده، وعلى السمع المصيب و لم يمجه، والنفس تقبل اللطيف وتنبو عن الغليظ، وتقلق من الجاسي (الصلب) البشع"[32]. فمتى اجتمعت في النظم، بلاغة اللفظ، وشرف المعنى والبعد عن الشذوذ كان له التأثير المرغوب في السامع.

---

[30] ينظر، التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، ص 129 – 173، في تداولية الخطاب الأدبي، نواري سعودي أبو زيد، ص31 – 43، في اللسانيات التداولية، بوجادي خليفة، ص137 – 154.

[31] ينظر، البيان والتبيين، الجاحظ، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط7،1998م، ج1، ص92.

[32] ينظر، كتاب الصناعتين، العسكري أبو هلال، تح علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العلمية، بيروت، 1988م، ص 57.

وتأخذ فكرة القصد بعدا نظريا ضمن نظرية النظم للجرجاني (ت 471هـ) في إلحاقه الألفاظ للمعاني، وربطهما بمقاصد المستعملين [33]، وقد جاء معنى القصدية عند المتكلم تحت تسمية معاني النفس.

وكذلك فعل ابن الهاشم (ت 671هـ)، حين أدخل القصد في مفهوم الكلام، يقول في ذلك: "الكلام هو القول المفيد بالقصد"[34]، والمراد بالقصد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه.

يتضح من ذلك أن شروط الكلام مرتبطة بالمتكلم، لأن ابتداء الكلام واختتامه به والقصد فيه، مرتبطان به، لا بغيره.

وإذا رجعنا إلى بعض أهم الجوانب اللغوية الواجب مراعاتها في التحليل التداولي، فإننا نجد الجاحظ يكاد يحوز قصب السبق في الإشارة إليه، حين أرجع بيان الدلالة إلى خمسة أنماط غير لغوية منها الإشارة والنصبة[35].

ومن أضرب الإشار ة التي ذكرها الجاحظ "باليد والرأس وبالحاجب والمنكب، إذا تباعد الشخصان وبالثوب والسيف، وقد يتهدد رافع السوط والسيف فيكون ذلك زاجرا ومانعا ورادعا، ويكون وعيدا وتحذيرا"[36].

وإذا كان التأثير هو الغاية في كل موقف تواصلي بين طرفي التخاطب، فإن حازم القرطاجني قد ذكر نموذجين للتأثير:

الأول- استعمال الإقناع وهي خاصية ملازمة للحجاج.

الثاني- استعمال التخييل الذي هو قوام الشعر وغاية هذين الاستعمالين متحدة وهي:

إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحل القبول لتأثير لمقتضاه، فكانت الصناعتان المتوخيتين

---

[33] ينظر، دلائل الإعجاز، الجرجاني عبد القاهر، تح محمد رشيد رضا، در المعرفة، بيروت، 1982م، ص 118.

[34] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن الهاشم الأنصاري، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1991م، ج 2، ص 431.

[35] النصبة هي الحال المفصحة عن نفسها من غير واسطة اللفظ.

[36] ينظر، البيان والتبيين، الجاحظ، المصدر السابق، ج 1، ص77.

لأجل اتفاق المقصد والغرض فيهما[37].

ومن الشروط التي تضمن نجاح العملية التواصلية لدى البلاغيين العرب، معرفة خصوصيات اللغة التي يتم بها التواصل، فالتواصل الناجح السليم قائم على ركيزة أساسية هي السنن (اللغة المشتركة)، وهذا يعكس نظرة تراثية شمولية نوعية، ارتقت إلى المستوى التنظير اللغوي الحديث الذي جعل الاشتراك على مستوى السنن بين المرسل والمرسل إليه ضرورة من ضرورات نجاح عملية التواصل[38].

ونسجل حضور أبعاد التخاطب عند ابن الجني (ت 392هـ) عندما أشار إلى أنه قد تحذف الصلة مثل "سير عليه ليل" والقصد صفة الامتداد الزمني والطول، لقيام مراد المتكلم مقام، الصفة، يقول ابن جني: " وذلك أن تحس في كلام القائل من التطويح والتفخيم والتعظيم ما يقوله قوله طويل أو نحو ذلك"[39].

ونظرا لأهمية القصد في تبيان دلالة الكلام ميز أبو حامد الغزالي (ت 505هـ) بين ضربين من الكلام: كلام لا يتلفظ به فيظل حبيس الذات وطي الكتمان، وكلام منجز متحقق فعليا ودلالته ليست ذاتية، بل لا يدل عليها إلا إذا أراد له المتكلم ذلك[40].

في حين جعل القاضي عبد الجبار (ت 415هـ) القصد شرطا أساسيا ينبغي توافره في عملية الكلام بالعودة إلى مسألة المواضعة اللغوية [41]، ذلك أن الكلام غير مؤهل للاحتواء على فائدة إلا وقد استوفى شرط المواضعة عليه.

---

[37] ينظر، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، القرطاجني حازم، المصدر السابق، ص361.

[38] ينظر، المدارس اللسانية أعلامها ومبادئها، عزوز أحمد، دار الأديب، الجزائر، ص 118.

[39] ينظر، الخصائص، ابن الجني أبو الفتح عثمان، تح محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، ج2 ، ص 370، 371.

[40] ينظر، التفكير اللساني في الحضارة العربية، المسدي عبد السلام، الدار العربية للكتاب، ط2، 1982م، ص 146.

[41] ينظر، التصور اللغوي في الفكر الاعتزالي، لزعر مختار، دار الأديب، الجزائر، 2006م، ص 96، 97.

وإذا كانت التداولية تعني دراسة اللغة في الاستعمال، فإن النحاة لم يخرجوا عن ذلك وهذا ما نراه لدى إمام النحاة سيبويه في نظرته إلى المعنى وعلاقته بالبنية، إلى جانب ربط ذلك بمدى صحة الاستعمال ومطابقة الكلام للواقع[42].

ولعل هذه الإشارات ليست كافية في عرض البعد التداولي عند العلماء العرب، لكنها ترشد إلى حقيقة الاهتمام الموسع لديهم بمفاهيم الاستعمال والتداول، والاحتفاء بعناصر المقام وملابساته.

خلاصة الأمر أن التداولية بمقولاتها، ومفاهيمها الأساسية كسياق الحال وقصد المتكلم، ومراعاة العلاقة بين أطراف الخطاب، ومفهوم الأفعال الكلامية، والحجاج، يمكن أن تكون أداة من أدوات قراءة التراث العربي ومفتاحا من مفاتيح فهمه.

[42] الكتاب، سيبويه، تح عبد السام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م،ص 25، 26.

الفصل الأول

صور الخطاب الحجاجي

أولا– ماهية الحجاج وخصائصه

1- مفهوم الحجاج

2- ضوابط التداول الحجاجي

3- خصائص الخطاب الحجاجي

ثانيا– أصناف الحجاج وأهم نظرياته

1- أصناف الحجاج

2- الحجاج في الدراسات الغربية

3- الحجاج في الدراسات العربية

4- جذور الحجاج في التراث العربي

تعد نظرية الحجاج من أهم النظريات التي قامت عليها الدراسات التداولية بعد نظرية الأفعال الكلامية، وتتجلى أهميتها في أنها حاولت أن تتجاوز النظرة الضيقة، التي ترى أن الوظيفة الأساسية

للغة هي الإخبار لتهتم أكثر بالجوانب التأثيرية الإقناعية، وذلك بحمل المتلقين على تبني وجهة نظر ما، أو القبول بها.

وقبل الكشف عن طبيعة هذه النظرية، والتصورات التي قدمها روادها حول الحجاج والمحاجة، لابد من الإشارة إلى أسباب ودواعي الاهتمام بالبحث الحجاجي.

أدى الاهتمام بالحجاج ونظرياته المختلفة بدءا من أرسطو Aristote* إلى اليوم، إلى تعدد المصنفات التي عنيت بدراسة الحجاج والتنظير له، ورصد كافة آليات اشتغال الخطاب الحجاجي، ولعل لهذا الاهتمام المتنامي دوافعه وأسبابه والتي يمكن إجمالها في:

تخطي الخطابات في وسائل الإعلام وشتى الإعلانات الإشهارية حدود الوظائف الإبلاغية البسيطة وتبني وجهة نظر إقناعية لا هدف لمنتج الخطاب فيها إلا حمل المتلقين على الاقتناع، كما هو حال الساحة السياسية، بعدما صار الحجاج أهم آلياتها.

كثرة الدراسات التي تناولته، سواء من خلال رده إلى أصوله الفلسفية (الخطابة الأرسطية) أو باعتباره مظهرا من مظاهر دراسة الخطاب.

تطور المعرفة اللسانية تطورا تجاوز الرؤية السوسيرية، ليلفت الأنظار إلى البعد التداولي للظاهرة اللغوية وما تنشده من تغيير في السلوك أو الموقف الفكري، أو العاطفي.

ويؤكد هده الفكرة هنريش بليث Heinrich Bleth حين أرجع النهضة البلاغية إلى الأهمية المتزايدة للسانيات التداولية، ولنظريات التواصل، والسيميائيات، والنقد الإيديولوجي، وكذا الشعرية اللسانية في مجال وصف الخصائص الإقناعية للنصوص وتقويمها[43]. ويذكر ايفانوكس Ivanox أن النجاح الحالي لهده الدراسات قد اعتمد على العلاقة اللازمة بين البلاغة ودراسة وسائل الإقناع في مجتمع يتجه يوما بعد يوم نحو علوم التحريض والدعاية، فسيادة وسائل الإعلام

* ارسطو Aristote فيلسوف يوناني (384-223 ق.م) له مؤلفات في المنطق والرياضيات والأخلاق، أهمها: المقولات، الجدل، العبارة، الخطابة.

[43] ينظر، البلاغة والأسلوبية، بليث هنريش، تر محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999م، ص22.

في ثقافتنا تجعل من الخطابة بوصفها ممارسة إبداعية للإقناع، ومن البلاغة تقنية ملائمة للإقناع أيضا[44].

والحجاج بذلك ثابت في الخطابة أيا كان نوعه أو جنسه أو شكله بدءا من حواراتنا اليومية العادية إلى أعلى وأرقى النصوص الإبداعية، حتى أن بعض التداوليين ذهب إلى أن كل النصوص والخطابات ذات خلفية حجاجية ترمي إلى حمل كل فرد أو متلقي إلى الإذعان إلى صاحب الخطاب.

ولا يمكن الإلمام بالظاهرة الحجاجية، وبكل آليات اشتغالها في التواصل، نظرا لصعوبة رصد كل أشكال الخطاب وكل متغيرات المقام، وكافة المتقبلين، مادام الحجاج مظهرا من مظاهر عصرنا الحاضر يؤسس للشك والاحتمال، يهدف إلى خلق الحجج والأدلة والبراهين.

فلا حقيقة إلا بربطها بالآخرين وإن أدى ذلك إلى الاختلاف، الأمر الذي يقتضي منا مساءلة المصطلح لاستخلاص المفاهيم الثاوية فيه بالنظر إلى الحجاج كآليات تشكل الخطاب، وكخطاب في الآن ذاته.

أولا – ماهية الحجاج وخصائصه:

1– مفهوم الحجاج:

ولعل الرجوع إلى المعاجم العربية، يمدنا بنظرة ندرك من خلالها الاستعمال اللغوي لمفهوم الحجاج، وتبيين أن الحجاج والمحاجة مصدران للفعل حَاجَجَ، جاء في لسان العرب: "حاجَجْتُهُ أحَاجُّه حِجَاجًا ومُحاجَّة حتى حَجَجْته أي غلبته بالحُجَجِ التي أدليت بها والحُجَّة البرهان، وقيل الحُجَّة ما دُوفع به الخصم، وقال الأزهري: الحُجَّة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. وهو رجل مِحْجَاج أي جَدِلٌ، والتَّحَاج: التخاصم وحاَجَّه مُحاجَّة وحِجَاجًا نازعه الحُجَّة واحْتَجَّ بالشيء، اتخذه حُجَّة والحُجَّة الدليل والبرهان" [45]. إن تعريف ابن منظور للحجاج وظيفي في

[44] ينظر، البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم "سورة الأنبياء نموذجا"، بن عيسى عبد الحليم، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد 102، 2006م، ص02.

[45] لسان العرب، ابن منظور، مج 02، مادة (حجج) ص 227، 228.

الدلالة لما تحمله الكلمة في أصلها اللغوي من أبعاد مهمة في تحديد معالم المفهوم، فالمادة الفعلية قائمة على وزن "فاعل" الدال على المشاركة، التي تقضي وجود طرفي التواصل، فينعقد الخطاب على معنيين: الأول مرتبط بالإنجاز صراعا ونزاعا بين طرفين تعرض فيه الأقوال والحجج والأدل ة والبراهين.

والثاني ينعقد على نتائج الفعل أو ما يرمي الفاعل إلى تحقيقه من مقاصد يجسدها الظفر والغلبة، وهذا المعنى له صلة بدلالة مادة (حجج) المعجمية التي تعني القصد فـــ "حجَّه يحجُّه حجًّا قصده"[46]، ليكون فعل الحجاج محكوما بقصد جوهره إقناع أو حمل على التصديق، ما يدفع اللغة في اتجاه الفعل والتأثير.

وبناء على ما سبق تتضح دلالة الخطاب انطلاقا من العناصر الآتية:

- الفاعل أو منتج الخطاب بوصفه منتج الحُجَجِ والأقوال.

- الفعل حَاجَّ الذي يتضمن معاني الغلبة والظفر والنزاع وهي معان تتأسس من خلالها دلالة المادة.

- متلقي الخطاب الذي نراه حاضرا في تعريف ابن منظور باعتباره طرفا مهما لاكتمال حصول الفعل بناء على دلالة المشاركة التي ينطوي عليها فعل الحِجاج، إذ لا حِجَاج دون وجود طرفين يتقارعان حُجَّة بحُجَّة في إطار التواصل.

وفي الحديث "فحَجَّ آدم موسى" أي غلبه بالحُجَّة، واحْتَجَّ بالشيء اتخذه حُجَّة، والحُجَّة ما دُوفع به الخصم، والجمع حُجَجٌ وحِجَاجٌ" [47]، وجاء في كتاب التعريفات أن "الحُجَّة ما دُلَّ به على صحة الدعوى، وقيل الحُجَّة والدليل واحد" [48]. يتضح من هذه التعريفات أن الحِجَاج يتجه نحو الإفحام والاقناع بعرض الحُجَج والأدلة التي تؤدي إلى تحقيق الغرض المطلوب.

---

[46] لسان العرب، مادة (حجج) ص 226.

[47] المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيدة، تح عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط 1، 1421ه، 2000م، ج2، مادة "حجج" ص482.

[48] التعريفات، الجرجاني، تح إبراهيم الأبياري، دار الريان د.ت، ص 482.

وأما الاحْتجَاجُ من احْتَجَّ بالشيء، أي اتخذه حُجَّة، والاحْتِجاَجُ سماه الزركشي إلجام الخصم بالحُجَّة والمقصود به " الاحْتجاَج على المعنى المقصود بحجَّة عقلية، تقطع المعاند له فيه" [49]. وإذا كان الحجاج لا يخرج عن معاني منازعة الحجة والتّحاج والتخاصم، فإن الكثير من الآيات القرآنية تتضمن هذه المعاني، كقوله تعالى: ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾[50]

أي الدخول في الجدال والتخاصم الكلامي، وفي نفس السياق يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾[51]، أي أتجادلونني في أمر الله.

بناء على ما سبق يتضح أن الحجاج يتأسس على وجود الاختلاف بين المتخاطبين، ومحاولة أحدهما إقناع الآخر بوجهة نظره، وذلك بتقديم الحجة والدليل، قصد استمالته والتأثير فيه، وبالتالي إقناعه. يدور في فلك الغلبة أو المغالبة، التي تنطلق من اللغة وتتغيا حصول التأثير والإقناع، يحاقل- مع بعض الفروق- مفردات من قبيل: البرهان، والجدل، والاستدلال، والتواصل والحوار.

والحجاج بهذا لا يخرج عن معنيين هما القصد، والإقناع عن طريق الجدل والتخاصم، وإن اختلفت استعمالات الجذر (حجج) وتباينت[52]، بين الحِجاَج، والتَّحَاج، والتَّحَاجُج، والمحَاجَّة أو المحاجَجَة بفك الإدغام وغيرها من التصريفات الاشتقاقية.

وأما الحجة فهي مرادفة للدليل، ويقصد بها تحصيل الغلبة على الخصم و هي في هذا الوضع ترادف معنيين:[53]

---

[49] البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تح محمد الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، بيروت، ط2، ج2، ص 486.

[50] سورة الأنعام الآية 80.

[51] سورة البقرة الآية 138.

[52] ينظر، التداولية والحجاج، الحباشة صابر، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 2008م، ص46

[53] ينظر، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، عبد الرحمن طه، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،ط1، 1998م، ص137.

1- إفادة الرجوع أو القصد، وذلك أن الحجَّة مشتقة من "حجَّ"، ومن معاني هذا الفعل الرجوع، فتكون أمرا ترجع إليه أو تقصده، أي الدليل الذي يجب الرجوع إليه للعمل.

2- إفادة الغلبة، وذلك أن الفعل حجَّ يدل أيضا على معنى غلب، فيكون مدلوله هو إلزام الغير بالحُجَّة، فيصير بذلك مغلوبا.

وأما في الاصطلاح فيعد الحجاج نظرية حديثة تنوولت من جوانب عدة، وظهر ذلك بشكل جلي في كثير من الأعمال والدراسات البلاغية والتداولية، رغم اختلافها وتباينها.

ويقصد بالحجاج Argumentation "سلسلة من الحجج تتجه جميعا نحو نفس النتيجة"[54] بهدف اقناع المتلقي والتأثير فيه.

أما عند طه عبد الرحمن فهو أصل في كل تفاعل بين المخاطب والمتلقي إما تبادلا للتأثير أ و تناقلا للتغيير أو ربطا وظيفيا أو حتى تجاوبا وجدانيا"[55]، بوصفه منهجا استدلاليا تتخذه المحاورة قصد الاعتراض، فتسلك في سبيل ذلك طرقا استدلالية تختلف عن طرق البرهان.

يتضح من خلال هذا التعريف أن الاستدلال يضم العمليات والوسائل التي يتوسلها العقل لإدراك حقائق الأمور في ظاهرها أو باطنها، قد يكون عن طريق القياس أو الاستقراء أو الاستنتاج أو التمثيل، قد يكون في اللغات غير الطبيعية (الاستدلال البرهاني)، وقد يكون في الخطاب الطبيعي (الاستدلال الحاجي)، والمقصود بهذا الأخير، تلك الطرق العقلية المنهجة التي قد يسلكها المتكلم أو المتلقي لإدراك حقيقة أمر ما، والذي يتخذ صورة إثبات أمر أو قضية معينة، وما يتولد عنها من اقتناع وعمل بالطرح المقدم.

فالاستدلال يحضر في البرهنة وفي الحجاج، مع الأخذ بعين الاعتبار أن البرهنة ترتبط بالمنطق، والحجاج يتعلق بالخطاب، فهو أعم يشملهما معا، فكل برهان استدلال، وليس كل استدلال

---

[54] النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، طروس محمد، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط 1، 1426ه، 2005م، ص8.

[55] ينظر، اللسان والميزان، ص 229.

برهانا، وكل حجاج استدلال، وليس كل استدلال حجاجا[56]. ونجد طه عبد الرحمن قد انطلق من فكرة أن الاستدلال في الخطابات الطبيعية ذو بعد حجاجي بخلاف البرهان الصناعي، وذهب إلى أن الحجاج " فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة علمية، إنشاء موجها بقدر الحاجة، وهو أيضا جدلي لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع من البنيات البرهانية الضيقة " [57]. يبدو من خلال هذا التعريف أن الحجاج يكتسي بعدا تداوليا جدليا، يأخذ بعين الاعتبار كافة الأبعاد السياقية والاجتماعية، والمقامية، وكذا كل الجوانب المشتركة بين المتخاطبين، فهو أعم وأوسع من البرهان، نتائجه غير حتمية.

وبذلك تدخل البرهنة في إطار علمي بحث ونتائجها يقينية بيد أن مجال المحاجة هو القريب من المعقول Vraisemblable والمقبول possible والمرجح، والمحتمل probable.

أما عبد السلام عشير، فيراه الأسلوب الأنجح لمخاطبة العقل وإقناعه بعيدا عن الإغواء والمغالطة، لأنه أسلوب يتجه نحو مخاطبة العاطفة فيلعب على الجوانب النفسية والمشاعر الحساسة، في حين أن الحجاج يتجه نحو مخاطبة العقل وآلياته العقلانية، إعمالا للحواس والإدراك والحدس[58].

وبالتالي يكون الحجاج بحثا من أجل ترجيح خيار من بين خيارات قائمة وممكنة بهدف دفع فاعلين معينين في مقام خاص إلى القيام بأعمال إزاء الوضع الذي كان قائما[59].

وبهذا فهو فعل دفع من جهة، وفعل إبعاد من جهة أخرى، أي تفريغ الذهن من كل الاقتناعات السابقة وملئه بما يراد من إثباتات وحجج.

---

[56] ينظر، فاعلية الإصابية في تأويل الخطاب اللغوي مقاربة تداولية، بن عيسى عبد الحليم، مجلة مطارحات في اللغة والأدب، معهد الآداب واللغات، غليزان، الجزائر، العدد 2، مارس 2010م، ص 119،120.

[57] في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، عبد الرحمن طه، ص 65.

[58] ينظر، عندما نتواصل نغير مقاربة معرفية لآليات التواصل والحجاج، عشير عبد السلام، إفريقيا الشرق، 2006، ص19.

[59] ينظر، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، الشهري عبد الهادي بن ظافر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004م، ص459.

وكل سياق يستلزم خيارات معينة دون غيرها، مما يجعل الحجاج في شكله النهائي: "ترجيح من بين خيارات بواسطة أسلوب هو في ذاته عدول عن إمكانات لغوية إلى أخرى، يتوقع أنها أكثر نجاعة في مقام معين"[60].

ويرى الباحث عبد الله صولة أن الحجاج ضربان " ضرب أنت فيه لا تبر ح حدود المنطق فهو ضيق المجال ومرادف للبرهنة والاستدلال؛ إذ يعنى بتتبع الجانب الاستدلالي في المحاجة. وضرب هو واسع المجال لانعقاد الأمر فيه على دراسة مجمل التقنيات البيانية الباعثة على إذعان السامع أو القارئ"[61]. فالبحث في الحجاج يتم من جهة علاقته بالجدل من ناحية، وبالخطابة من ناحية أخرى.

أي العمل على اختيار الحجج المناسبة التي تكون أكثر تأثيرا وإقناعا للمتلقي، أما عند برلمان * Perlman وتيتيكاه Tyteca فيطلق على العلم وموضوعه، ويعني "درس تقنيات الخطاب التي تؤدي بالذهن إلى التسليم بما يعرض عليه من أطروحات، أو أن تزيد في درجة التسليم، أو محاولة جعل العقل يذعن لما يطرح عليه من أفكار، أو يزيد في ذلك إلى درجة تبعث العمل المطلوب"[62].

وهكذا تسعى الدراسات الحجاجية إلى تحليل التقنيات الخطابية التي تسمح بإحداث ميل السامع إلى ما يعرض على مسامعه، وبالتالي تنهض على كل ما يمكن أن يكون موضوع إبداء رأي أو إصدار حكم لصالح أطروحة محددة أو ضدها.

---

[60] بلاغة الحاج من خلال نظرية المساءلة لميشال مايير، القارصي محمد علي، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب، منوبة، تونس، 1998، ص39.

[61] الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، صولة عبد الله، دار الفارابي، بيروت، مكتبة المعرفة تونس، كلية الآداب منوبة، تونس، ط2 ، 2006م، ص 08.

* شايم برلمان Ch. Perlman رائد المدرسة البلجيكية، رفقة زميله تيتيكاه O. Tyteca، سمي توجههما بنظرية الحجاج، وأطلقا عليها البلاغة الجديدة La nouvelle rhétorique، من أهم مؤلفات برلمان، امبراطورية البلاغة L'empire rhétorique، وكتابهما المشترك: مصنف في الحجاج 1958 Traité de l'argumentation.

[62] ينظر، الحجاج أطره منطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة، برلمان وتيتيكاه، صولة عبد الله، ص 297.

وإذا كان الحجاج في الخطابة يهدف إلى تحقيق الإقناع الفكري أو العاطفي، فإنه يعني في الدراسات والأبحاث الغربية المعاصرة، التي تهتم الخطاب وبأبعاده الحجاجية كل جهد إقناعي يستهدف استمالة من يتوجه إليه وإقناعه بوجهة نظره وإفحامه بها، مؤطر بجملة من النظريات المعرفية التي أسهمت في تطويره، لم يعد مرتبطا بالخطابة والجدل، بل أصبح مجالا لخطابة جديدة تهتم بالبحث في وسائله، بعيدا عن المنطق الصوري، ما يتيح استقطاب الآخر وحمله على تبني ما يعرض عليه.

وقد عرفه طه عبد الرحمن بأنه "كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة بحق له الاعتراض عليها" [63]. وهو بهذا المفهوم خطاب، ولكن ليس كأي خطاب، هو ما اقترن فيه قصدان، قصد الادعاء الذي اختص به المتكلم، وقصد الاعتراض الذي هو حق المستمع، فضلا على أن كل خطاب حجاجي يستهدف به التوجه إلى إفهام الغير.

وبهذا يصبح الحجاج وسيلة للتفكير والتواصل مع الآخر، والتفاعل من أجل جلب منافع أو دفع مضار، ما يمنح للخطاب بعدا حجاجيا.

من الأهداف التي يرمي إلى تحقيقها المتكلم من خلال خطابه، إقناع المتلقي بما يراه، قصد التأثير عليه، أي"إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي" [64]. وتختلف الآليات التي يتوخاها المخاطب، لاختلاف مجالات الخطاب بين السياسي، والاجتماعي، والعلمي، والتربوي، ونظرا لأهمية الخطاب والتخاطب، كان لابد أن يكون كلام المخاطِب محددا بقصد وهدف معينين، وأن يتمكن من تحقيقهما.

وإذا كان للمرسل استراتيجيات يحاجج بها غيره ليعبر بها عن مقصوده، فإن السؤال المتبادر إلى الذهن، لماذا يلجأ المتكلم إلى استعمال الحجاج؟ وما هي الآليات التي يعتمدها لتحقيق ذلك؟ وكيف يحدث التأثير في المتلقي فيدفعه إلى تغيير وجهة نظره، أو موقفه؟

---

[63] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، عبد الرحمن طه، المصدر السابق، ص 226.

[64] البلاغة والأسلوبية، بليث هنريش، المرجع السابق، ص64.

ولعل من أسباب استعمال استراتيجيات الحجاج:

أ- أن له تأثيرا تداوليا أقوى على المتلقي، ونتاجه أثبت ديمومة وأبقى نظرا لحصول الاقتنا ع لدى المتلقي.

ب- اقناع المرسل إليه هدف خطابي يسعى المرسل إلى تحقيقه.

ج- تعزيز سبل التفاعل، ويوضح ذلك طه عبد الرحمن بقوله:

"فالمرسل عندما يطالب غيره بمشاركته اعتقاده، فإن مطالبته لا تكتسي صبغة الإكراه، ولا تدرج على منهج القمع، وإنما تتبع في تحصيل غرضها سبلا استدلالية متنوعة تجر الغير جرا إلى الاقتناع برأي المحاور وقد تزدوج أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع، فتكون إذ ذاك، أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب وتوجيه سلوكه لما يهبها هذا الاقتناع من قوة في استحضار الأشياء ونفوذ إشهادها للمخاطب، كأنه يراها رأي العين"[65].

وليقنع المرسل إليه بالحجاج، فإن أول ما ينصب عليه اهتمامه هو البصر بالحجة، ويقتضي ذلك مراعاة كافة ظروف التخاطب وملابساتها. أي "حسن التدبير والتقاط المناسبة بين الحجة وسياق الاحتجاج "[66].

فيختار المرسل من الحجج ما يناسب السياق، ثم يصوغها في قالب لغوي مناسب ليخاطب بها المرسل إليه.

وبما أن الحجاج آلية تجسد الخطاب الإقناعي فإن له ملامح عدة من مثل[67]:

أ- يتوجه إلى مستمع.

ب- يعبر عنه بلغة طبيعية.

ج- مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية.

---

[65] المصدر السابق، ص38.

[66] في الخلفية النظرية للمصطلح، صمود حمادي، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص14.

[67] ينظر، استراتيجيات الخطاب، الشهري عبد الهادي بن ظافر، ص458.

د- لا يفتقر تقدمه إلى ضرورة منطقية.

هـــ - ليست نتائجه ملزمة.

ومن هنا يكون الإقناع هو مجال البحث الحجاجي، نظرا إلى كونه محدد المقام والمخاطَب، والإطار القولي، أما أهم وظيفة حجاجية فهي الدفع إلى العمل.

2 – ضوابط التداول الحجاجي:

يتميز الخطاب الحجاجي بعدد من الضوابط التي على المخاطب الالتزام بعدد منها في كل عملية حجاجية لتحقيق الفاعلية التأثيرية منها[68]:

1- أن يكون الحجاج ضمن إطار الثوابت القابلة للحجاج.

2- أن تكون دلالة الألفاظ محددة، والمرجع الذي يحيل عليه الخطاب محددا لئلا ينشأ عن عدم التحديد الدقيق مشكلة في التأويل.

3- ألا يقع المخاطب في التناقص بقوله أو فعله.

4- موافقة الحجاج لما يقبله العقل، وإلا بدا زيف الخطاب ووهن الحجة.

5- توفر المعارف المشترك ة بين طرفي الخطاب، مما يسوغ قبول المخاطب لحجج المخاطب أو إمكانية مناقشته ا أو تنفيذها، وإلا انقطع الحجاج بينهما، وتوقفت عملية الفهم والإفهام وبالتالي الإقناع.

6- أن يأخذ المخاطب في اعتباره تكوين صورة عن المخاطَب، أقرب ما تكون إلى الواقع قدر الإمكان، لأن بناء الحجاج مرتبط بتنوع المعنيين به، فهم المقصودون بفحواه، المطالبون بإنجاز محمولاته، المشاركون في صياغته وإخراجه.

7- مناسبة الخطاب الحجاجي للسياق العام، لأنه هو الكفيل بتسويغ الحجج الواردة في الخطاب من عدمها، فقد يكون صحيحا من الناحية النظرية، ولكنه غير مناسب للسياق.

8- ضرورة خلو الحجاج من الإيهام والمغالطة والابتعاد عنها*.

---

[68] المرجع نفسه، ص465.

والحجاج المقصود هو ما يتكئ على الكفاءة التداولية لإيضاح الحجج وكشف الأمور، وإبعاد اللبس، ليصبح فعلا تأثيريا.

3- خصائص الخطاب الحجاجي:

إذا كان الحجاج فاعلية خطابية تستهدف الإفهام والإقناع، فإن بنيته تختلف عن بنية الاستدلال البرهاني، وذلك راجع لانبنائه على قوانين منطقية طبيعية وما يميزه:

أن الاستدلال فيه يقوم على سرد الحجج التي تمتاز بحسن الاختيار والترتيب لتحقيق الإقناع والتأثير، عدم خضوعه للصرامة المنطقية التي يتصف بها الاستدلال البرهاني.

وقبل أن نتطرق إلى خصائص الخطاب الحجاجي، ينبغي أن نأخذ فكرة عن الخطاب.

3-1- مفهوم الخطاب: Discours

كثيرا ما اقترن الخطاب بأوصاف، مثل الخطاب السياسي، الصوفي، التاريخي، الاجتماعي، مما يضفي عليه غنى وسعة في التصنيف والتعريف.

وقد ورد لفظ خطاب في القرآن الكريم، بصيغ متعددة، منها: صيغة الفعل في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾[69]، والمصدر في قوله تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾[70]. أي آتيناه البينة وزودناه بقدرة على الكلام؛ وذلك راجع إلى الكفاءة اللغوية التي يمتلكها المتكلم، والتي تتيح له التعبير عن شتى المعاني في الأحوال والمقامات.

وعموما الخطاب مصدر الفعل خاطَب يُخاطِب، خِطابًا ومخَاطَبة، بمعنى توجيه الكلام إلى الغير، بقصد تبليغ مقصود ما.[71]

---

* ينبني هذا النوع على المغالطة في تقديم الحجة، ويعبر عنه باللغة الفرنسية paralogisme المتكون من جزأين هما para ويعني به خاطئ و logisme بمعنى حجة، وربما أضاف بعضهم النية الحسنة لهذا النوع. ويقوم على المقايسة الواهمة، كما تتسبب في حدوثه عيوب بنيوية أثناء تأسيس المحاججة كالمصادرة على الرأي المطلوب ويشمل هذا النوع من المغالطة الحجاج بالسلطة. ينظر، الأساليب المغالطية مدخلا في نقد الحجاج، النويري محمد، ضمن فرقة البلاغة والحجاج، ص406.

[69] سورة الفرقان الآية 63.

[70] سورة ص الآية 20.

[71] ينظر، لسان العرب، ابن منظور، مج01، مادة (خطب) ص، 320،321.

وورد في المعجم الوسيط الخطاب: الكلام[72]،أي تبادل الكلام بين المتخاطبين لتحقيق التواصل، وفي التنزيل العزيز ﴿ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾[73]، أما في الدراسات اللغوية الحديثة فلم يحظ بتعريف شاف، نظرا لاختلاف الدراسات اللغوية إذ ورد بوصفه تجاوزا للجملة أو الملفوظ الموجه إلى الغير، وهو هنا يطابق الكلام [74]، المخالف للغة حسب ثنائيات سوسير De Saussure.

جاء الخطاب في الأدبيات اللسانية مقابلا بمفهومين هما الجملة والنص ولتوضيح الفرق أكثر نستعين بالترسيمة الشجرية التي أوردها المتوكل[75]:

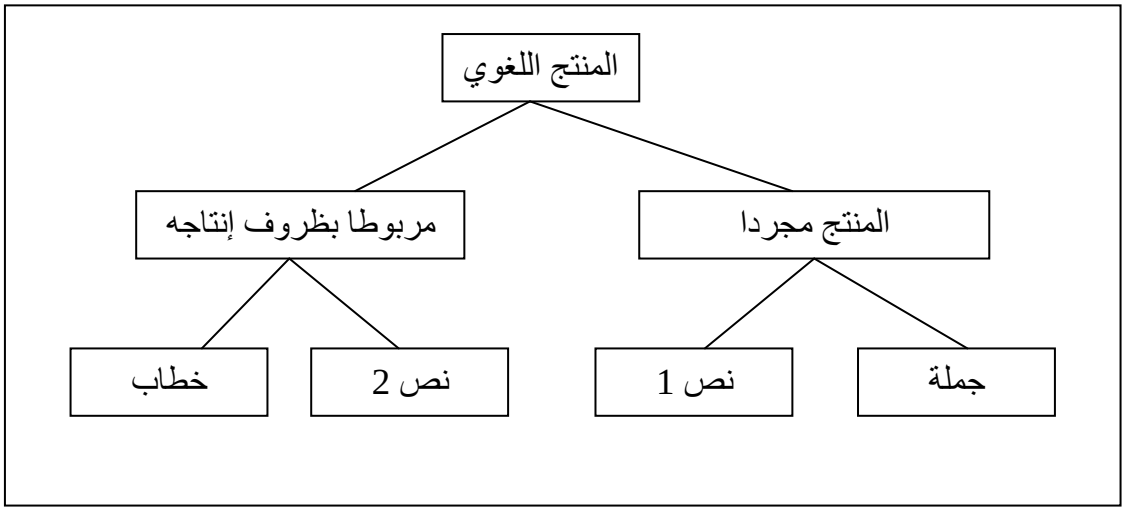

فيكون الخطاب "كل ملفوظ مكتوب يشكل وحدة تواصلية قائمة الذات" [76]، يتضح من هذا يتضح أن الخطاب يشمل الجملة، يعتمد معيار التواصل بين طرفي التخاطب، لا يدخل معيار الحجم في تعريفه سواء كانت نصا كاملا، أو جملة مربوطا بسياق وظروف إنتاجه.

---

[72] المعجم الوسيط، ضيف شوقي، عبد العاطي عطية شعبان، حامد حسين أحمد، مراد حلمي جمال، النجار عبد العزيز، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 1425ه، 2004م، ص 243.

[73] سورة ص الآية23.

[74] ينظر ، علم اللغة العام، دي سوسير فردينان، تر يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، ط3 ، 1985م، ص32.

[75] الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، المتوكل أحمد، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، الرباط، ط1، 1431هـ، 2010م، ص22.

ويذهب المتوكل إلى أن الخطابات تصنف بحسب ثلاثة معايير:

وبما أننا ننطلق من فكرة بديهية هي أن كل كلام موجه إلى الغير خطاب، وكونه خطابا يقتضي أنه إقناع وتأثير، لأن الخطاب عند بنفنست Benveniste " كل قول يفترض متكلما وسامعا مع توافر مقصد التأثير بوجه من الوجوه في هذا السامع" [77]، فإنه سيكون مجالا للمحاورة والتفاعل والتفاوض، باعتباره ممارسة تجري في السياق.

تقتضي دراسة الخطاب تحديد التأثير الذي يستهدفه المخاطب، وكذا الهدف من الخِطاب (أي ما يرمي إليه المخَاطِب) من توجيه، أو حث، أو إقناع وهذا التأثير لا يتم إلا بتوخي المخَاطِب جملة من الخصائص ترمي إلى إقناع المخاطَب واستمالته نجملها في الآتي:

– خاصية البناء والدينامية:

تأتي فعالية الخطاب الحجاجي من طريقة بنائه وتفاعل عناصره ودينامية مكوناته، فالاقتصاد في الأدلة الحجاجية مثلا يكون له دورهم في عملية الإقناع، إذ المبالغة في سرد الحجج في غير مناسبة، يفقد الحجاج فعاليته وقوته[78]، أي تقديم الحجج الملائمة للموضوع.

ويتميز عن غيره من الخطابات، بكونه خطابا مبنيا وموجها وهادفا، مبنيا بناء استدلاليا يتم فيه اللجوء إلى الحجة والاستدلال والمنطق والعقل، وموجها مسبقا بظروف تداولية، تتطلب الدفاع عن الرأي أو الانتصار لفكرة، أو نقاشا حجاجيا، بهدف تعديل فكرة أو نقد أطروحة أو جلب اعتقاد أو دفع انتقاد [79]. وحتى تكون هذه الحجج فعالة لابد من مناسبتها للسياق العام للخِطاب وأن تترتب عنها نتائج مؤثرة.

– خاصية التفاعل:

– من حيث موضوعها إلى خطاب ديني، وخطاب علمي، وخطاب أيديولوجي أو سياسي...

– من حيث بنيتها داخل ما يسمى "الخطاب الفني" (الإبداعي، الأدبي) إلى قصة، رواية، قصيدة...

– من حيث آلياتها إلى خطاب سردي، وخطاب وصفي، وخطاب حجاجي.

[77] لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، حمو الحاج ذهبية، دار الأمل للطباعة والنشر،2005، ص143.

[78] ينظر، عندما نتواصل نغير، عشير عبد السلام، المصدر السابق،ص129.

[79] ينظر، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، عبد الرحمن طه، ص226.

بما أن الحجاج أصل في كل تفاعل كائنا ما كان فإنه ينبني على مبدأين معرفيين هما مبدأ الإدعاء، ومبدأ الاعتراض، يؤديان إلى اختلاف في الرأي أو في الدعوى، ويدفعان إلى الدخول في ممارسة الدفاع أو الانتصار للدعوى وهو ما يؤدي إلى تحقيق نوع من التجاوز الظاهر أو التجاوز المفترض (الذات الاعتبارية) للمتكلم والمخاطَب.

وقد ينشأ عن هذا التزاوج الظاهر والاعتباري للمتكلم والمخاطَب، ازدواج في مختلف العمليات الحجاجية وهي[80]:

أ- ازدواج في القصد: أي حصول الوعي بالقصدين عند كل منها.

ب- ازدواج التكلم: كما لو كان المستمع هو الذي يتكلم، أو كما لو كان المتكلم يحمل لسان المستمع.

ج- ازدواج في السياق: يحتوي سياق إنشاء القول على نصيب من سياق التأويل كما يحمل سياق التأويل نصيبا من سياق الإنشاء.

وهكذا تكمن أهمية التفاعل المباشر والتفاعل غير المباشر بين المتكلم والمستمع في ضرورة الالتزام بطبيعة الأرضية المشتركة بينهما.

- خاصية الالتباس:

إذا كانت اللغة الطبيعية أصلا لكل غموض دلالي، ومجالا لكل انزياح ومجاز لساني، فإن الأمر سيكون معقدا، وعسير الفهم في العملية الحجاجية، أو قل إن الحجاج هو عمق الالتباس، وعلى الرغم من ضرورة التقيد بالآليات والأدوات والتقنيات التي يعتمدها الحجاج لتشكيل القول، فإن المجال يبقى مفتوحا أمام مهارة المتكلم في فن القول، وإظهار كفاءته الإبداعية لكي يصل بسهولة إلى إفهام الآخر وتقريبه من طروحاته حتى يتسرب إلى ذهنه وعواطفه وعقله، بغية إقناعه والتأثير فيه[81].

---

[80] ينظر، عبد السلام عشير، المصدر السابق، ص130

[81] ينظر، اللسان والميزان، ص 131.

تقوم ماهية الحجاج في كونه "ينطوي على قدرة من الالتباس في الوظيفة، هذا الالتباس الذي لا نجد له نظيرا في غيره من طرق الاستدلال، ولولا تضمن الحجاج لهذا الالتباس، لما تميزت طريقه عن طريق البرهان. فهذا الالتباس هو إذن الفاصل بين الحجاج والبرهان"[82].

فالالتباس ليس بظاهرة عرضية أو مصدر تشويش، بل يشكل مقوما من مقومات التواصل البليغ.

والأصل في الالتباس الحجاجي هو أن يجتمع فيه اعتباران اثنان لا يجتمعان البتة في البرهان، هما اعتبار الواقع واعتبار القيمة.

فالعبارة في الحجاج إذا اقتصرت على ظاهرها جاءت عادية أو عارضة في القول، بحيث لا يعيرها المستمع أدنى اهتمام، أما إذا حملت معها إشارات رمزية فإنها ستحرك آليات الفهم والتأويل لدى المخاطب وتدفعه نحو اعتقاد ما[83].

وهكذا يتضح أن حقيقة الخطاب ليست هي مجرد الدخول في علاقة مع الغير، وإنما هي الدخول معه فيها على مقتضى الإدعاء والاعتراض، بمعنى أن ما يحدّد الخطاب إنما هو العلاقة الاستدلالية، وليس العلاقة التخاطبية وحدها، فلا خطاب بلا حجاج، ولا مخاطِب من غير أن تكون له وظيفة المدعي ولا مُخَاطَب من غير أن تكون له وظيفة المعترض. إذ حد الحجاج حسب طه عبد الرحمن "كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[84].

وهكذا يتضح أن العلاقة الاستدلالية بانية لحقيقة الخطاب، إذ التوجه إلى الغير لازم من لوازم الادّعاء، فلا يدعى إلا من توجه كما أن الفهم لازم من لوازم الاعتراض فلا يعترض إلاّ من فهم والشاهد على ذلك حسب طه عبد الرحمن هو ما يختص به اللسان العربي من استعمال لفظ واحد

---

[82] المصدر نفسه، ص 230.

[83] ينظر، عندما نتواصل نغير، ص 131.

[84] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص226.

للدلالة على معنى (القصد)، ومعنى (الاستدلال) معا، هو بالذات الفعل "حجّ" الذي يفيد (قصد) في قولنا "حجّ بيت الحرام"، كما يفيد " غلبهُ بالحجّة" في قولنا: "حَاجَّهُ، فحَجَّهُ"[85].

وإذ ثبت أن الحجاج هو الأصل في الخطاب، فهذا لا يعني أن كل خطاب بالضرورة حجاج، فقد لا يشكل الحجاج هدفه الأساسي والمباشر، وحتى وإن كانت ثمة تعابيرا حجاجية فإنها تأتي بشكل عرضي، فالخاطب اليومي الذي يجريه النّاس فيما بينهم من أجل التعارف، أو نقل المعلومات، أو تبادلها لا يكون من أهدافه تقديم حجج أو أدلة على موقف أو الدفاع عن أطروحة، أو حمل الآخر على الانخراط في عمل ما.

كما يؤكد ذلك بلونتان Plantin، في قوله "من التسرع الاعتقاد أن الخطاب يكون لغاية حجاجية فقط، فهناك كثير من الأقوال نستعملها في شكل عمليات غير حجاجية"[86].

ومن جهة أخرى يمكن القول بأن الحجاج في ارتباطه بالمتلقي يؤدي إلى الحصول عمل ما أو الإعداد له، ومن ثم سيكون "فحص الخطابات الحجاجية المختلفة بحثا في صميم الأفعال الكلامية وأغراضها السياقية، وعلاقة الترابط بين الأقوال، والتي تنتمي إلى البنية اللغوية الحجاجية"[87]. ذلك أن تقبل العقول وتصديقها بما يطرح عليها، هو الغاية من كل حجاج.

ويتم التعامل مع الخطاب الحجاجي على مستويين:

أولا- مستوى خارجي كلي حيث يشكل الخطاب في كليته حجة.

ثانيا- مستوى داخلي حيث يتجسد الحجاج في الأفعال الكلامية، والروابط والعوامل الحجاجية والاستعارات والسلم الحجاجي.

ولقد أصبح واضحا وجليا لدى الدارسين في النظريات التأويلية المعاصرة للخطاب، وفي اللسانيات التداولية أن لمقاصد المخاطِب أهمية بالغة في توجيه وتحديد معنى الخطاب.

ثانيا – أصناف الحجاج وأهم نظرياته:

---

[85] ينظر، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[86] عندما نتواصل نغير، عشير عبد السلام، ص 128.

[87] نظرية الحجاج، بوقرة نعمان، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، عدد 407، 2005م، ص 01.

1 أصناف الحجاج:

يصنف الحجاج إلى صنفين هما : الحجاج التوجيهي، والحجاج التقويمي، باعتبار استحضار حجاج المخاطَب من عدمه، ذلك أن المخاطِب قد يكتفي بإنتاج خطابه دون الاهتمام بما لدى المخاطَب من حجج قد يواجهه بها، أو بأن يضع تلك الحجج في الحسبان ، فيبني عليها خطابه.

1-1-الحجاج التوجيهي:

والمقصود به إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل بأقواله من حيث إلقاؤه لها ولا ينشغل بنفس المقدار بتلقي المخاطب لها ورد فعله عليها، فتجده يولي أقصى عنايته إلى قصوده وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة.

غير أن قصر اهتمامه على هذه القصو د والأفعال الذاتية يفضي به إلى تناسي الجانب العلاق ي من الاستدلال، هذا الجانب الذي يصله المخاطب ويجعل هذا الأخير ممتنعا بحق الاعتراض [88]، فالمخاطِب في هذا النوع من الحجاج يكتفي بقصده في تكوين حجاجه وتنظيم خطابه، فلا يجرد من ذاته ذاتاً أخرى تمثل المخاطَب، في محاولة لتوقع اعتراضاته واستباق حججه لدحضها ويصل إلى إقناعه، وكأنه لا يقيم اعتبارا للمخاطَب ويكتفي بمجرد إيصال حججه إليه.

وانطلاقا من هذا التعريف يمكن أن نستخلص أهم مميزات الحجاج التوجيهي:

- يهتم المخاطِب فيه بأقواله، ولا يضع في الحسبان رد المخاطَب لها.
- يأخذ بعين الاعتبار فعل الادعاء ويلغي رد فعل الاعتراض.
- يولي أقصى عناية إلى قصده وأفعاله.
- يلغي المُستدلُّ دور المخاطَب ويمنعه من حق الاعتراض، ولا يقيم له اعتبارا.

1-2- الحجاج التقويمي:

والمقصود به حجاج على خطاب متوقع من مخاطَب متخيل يفترض المتكلم وجوده، تحسبا لأي اعتراضات قد يواجهه بها بالاستناد على معرفته به وبالسياق، فيراعي بذلك الهدف الذي

[88] ينظر، اللسان والميزان، عبد الرحمن طه، ص 227.

يبتغيه، وهو الإقناع، والحجج التي يمكن أن يعارضه بها المخاطَب والتي يضعها في الحسبان في أثناء بناء خطابه.

ويعرفه طه عبد الرحمان بقوله "والمقصود بالحجاج التقويمي هو إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدِل على أن يجرد من نفسه ذاتا ثانية يتزلها منزلة المعترض على دعواه، فهاهنا لا يكتفي المستدِل بالنظر في فعل إلقاء الحجة إلى المخاطَب، واقفا عند حدود ما يوجب عليه من ضوابط وما يقتضيه من شرائط، بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أول متلقٍ لما يلقي، فيبني أدلته أيضا على مقتضى ما يتعين على المستدل له أن يقوم به، مستبقا استفساراته واعتراضاته ومستحضرا مختلف الأجوبة عليها ومستكشفاً إمكانات تقبلها، واقتناع المخاطَب بها، وهكذا، فإن المستدِل يتعاطى لتقويم دليله بإقامة حوار حقيقي بينه وبين نفسه، مراعيا فيه كل مستلزماته التخاطبية من قيود تواصلية وحدود تعاملية، حتى كأنه عين المستدل له في الاعتراض على نفسه"[89]. وبذلك يقوم المستدل بتقديم حجته، من خلال إقامة حوار حقيقي بينه وبين المخاطَب وفق مبدأ التعاون، والتواصل، آخذاً في الاعتبار فعلي الإلقاء والتلقي معا.

2 – الحجاج في الدراسات الغربية:

[89] اللسان والميزان، المصدر السابق، ص 228.

والحجاج بوصفه جزءا لا يتجزأ من التواصل اللغوي وما يقتضيه من وظائف، نجد له حضورا في نموذج جاكوبسون Jakobson التواصلي[90]، ذلك أن للخطاب الحجاجي القدرة على الجمع بين سائر وظائف جاكوبسون، ضمانا لقصد المحاجِج الساعي إلى الإقناع حتى أن الوظيفة الشعرية لا تأتي بالكلام إلا لجعله آلية من آليات أسر المخاطَب واستمالته.

ويعود الاهتمام بالحجاج إلى ازدهار وتطور المباحث اللسانية، والتي تتجسد في سائر الأبحاث والدراسات على اختلافها وتباينها، فكيف تم تصور الحجاج في تلك الاتجاهات؟

لا مناص ونحن نعرض أهم النظريات التي اهتمت بالحجاج من الإشارة إلى أن جل من اهتموا بالتأريخ لهذا البحث قد فصلوا فيه بين عهدين، أما الأول فيمتد من الدراسات الإغريقية خصوصا مؤلفات أرسطو حول الخطابة، أما الثاني فكانت انطلاقته مع منتصف القرن العشرين لما بعث كل من تولمان، وبرلمان وتيتيكاه الحجاج، وأرجعاه إلى صدارة ما يهتم به.

2-1- الحجاج عند أرسطو (الحجاج الفلسفي):

تعد البلاغة الأرسطية أساسا معرفيا لأغلب النظريات البلاغية واللغوية التي جاءت بعدها، ولنظرية الحجاج خاصة. إن خروج أرسطو Aristote عما سبقه عن البلاغتين الأفلاطوني* ة (الأستاذ)، والسفسطائية (الخصوم)، قد قاده إلى تأليف آثاره الخالدة حول الخطابة وهي آثار

---

[90] حدد جاكوبسون ست وظائف للغة وهي: الوظيفة التعبيرية fonction expressive، والوظيفة الندائية conative، والوظيفة المرجعية référentielle، والوظيفة الانتباهية phatique، ووظيفة ما وراء اللغة métalinguistique، والوظيفة الشعرية poétique، ينظر، مدخل إلى اللسانيات التداولية، دلاش الجيلالي، ص 13. وحصر هاليداي Halliday وظائف اللغة في: الوظيفة التمثيلية أو التجريبية، والوظيفة التعالقية والوظيفة النصية ،ينظر، من لسانيات الجملة إلى علم النص، إبرير بشير، مجلة الموقف الأدبي، العدد 401، السنة الرابعة، أيلول 2004، ص 24.

أما تشومسكي Chomsky فيرى أن الوظيفية الأساسية للغة هي التعبير عن الفكر، في حين يرى الوظيفيو ن وفلاسفة اللغة العادية، أن الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل، ينظر، الوظائف التداولية في اللغة العربية، المتوكل أحمد، دار الثقافة، المغرب، ط1، 1985م، ص08.

* أفلاطون Platon فيلسوف يوناني(427-347-384 قبل الميلاد) أحد اتباع سقراط، كتب حوالي ثلاثين محاورة (المأدبة، فيدون، الجمهورية...)

انفصل فيها صاحبها عما سبقه ليؤسس رؤية هَيمنت على الدراسات الحجاجية إلى حدود أيامنا هذه.

رد أرسطو الحجج إلى ثلاثة أبعاد، فثمة حجج ترتكز على الطبيعة المخاطب l'éthos، وحجج ترتكز على مضمون الخطاب le logos، وحجج تركز على مشاعر السامعين le pathos.

قاده تصنيف الجمهور إلى التمييز بين نوعين من الحجاج [91]:

أ- الحجاج الخطابي:

وهو حجاج موجه يتمثل في بناء الحكم وتوجيه الفعل إلى جمهور ذي أوضاع خاصة في مقامات خاصة، وهو هنا ليس لغاية التأثير النظري العقلي، وإنما يتعداه إلى التأثير العاطفي وإلى إثارة المشاعر والانفعالات.

ب- الحجاج الجدلي:

ومداره مناقشة الآراء لغاية التأثير العقلي المجرد.

لقد هيمنت مقولات أرسطو في الحجاج طيلة قرون عدة، و لم تتغير إلا في العصر الحديث لما ظهرت الخطابة الجديدة مع بحوث المدرسة البلجيكية ،أولا مع برلمان وزميله تيتيكاه، وثانيا مع ميشال مايير Meyer *.

شهد الحجاج انبعاثه من خلال مؤلفين صدرا في السنة نفسها، مؤلف شايم برلمان، ولوسي أولبراخت تيتيكا ه مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة traité de l'argumentation-la nouvelle rhétorique، ومؤلف ستيفن تولمين* S. Toulmin، استعمالات الحجاج Les usages

---

[91] ينظر، الريفي هشام، الحجاج عند أرسطو، ضمن فريق الحجاج، ص 126، 127، وينظر أيضا، الحجاج في البلاغة المعاصرة، الطلبة محمد سالم محمد الأمين، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ص 53، 54.

* ميشال مايير Michel Meyer فيلسوف بلجيكي، عمل في التدريس الجامعي، أشرف على إصدار المجلة العالمية للفلسفة، أقام مشروعه على فكرة المساءلة، من مؤلفاته: المنطق، اللغة، الحجاج – أسئلة البلاغة...

* ستيفن أدلسن تولمين S. A. Toulmin باحث بريطاني من مؤلفاته: كتاب وجوه استخدام الحجاج Les usages de l'argumentation.

de l'argumentation، ثم تطورت الدراسات الحجاجية لتصبح لسانية محضة مع ديكرو Ducrot وأنسكومبرAnscombre في كتابهما المشترك "الحجاج في اللغة"، واتسمت هذه التصورات بالنظر إلى الحجاج مستقلا بعيدا عن الدعاية والمغالطة، فكيف تم تصور الحجاج عندهم؟.

2-2- الحجاج عند برلمان وتيتيكاه:

استنبطا حدا جديدا للحجاج، جعله سليلاً الخطابة والجدل متميزا عنهما في الآن ذاته، وموضوع الحجاج عندهما هو "دراسة التقنيات الهادفة إلى حث النفوس على التسليم بالأطروحات المعروضة عليها، أو تقوية ذلك التسليم، كما تفحص أيضا الشروط التي تسمح بانطلاق الحجاج ونموه، وكذا الآثار المترتبة عنه"[92].

يرتكز هذا التعريف على إقناع المتلقي وجعله يقبل بالحجج المقدمة، ومن ثم دفعه إلى القيام بعمل ما.

أما عن تقنيات الحجاج فقد ردها الباحثان إلى تقنيتين رئيسيتين:[93]

-تقنية الوصل Procédé de liaison:

وهي قائمة على التأليف بين المتباعد من العناصر لردها إلى بنية واضحة من شأنها أن تتيح لنا إمكانية تقويم أي عنصر بواسطة غيره من العناصر تقويما إيجابيا أو سلبيا.

وتنقسم بدورها إلى ثلاثة أنواع وهي:[94]

- الحجج شبه المنطقية Les arguments quasi logique وهي قائمة على المنطق الرياضي أقرب إلى المنهج الاستدلالي.

- الحجج المبنية على بنية الواقع Les arguments basés sur la structure du réel وهي حجج قائمة على الربط السببي وعلى حجج السلطة.

---

[92] بلاغة الحوار المجال والحدود، العمري محمد، مجلة فكر ونقد، www.fikrwanakdaljabriabed.net (n61-04alumari.htm)

[93] ينظر، صولة عبد الله، المصدر السابق، ص 324.

[94] ينظر، الحجاج في البلاغة المعاصرة، الطلبة محمد سالم محمد الأمين، المصدر السابق، ص 128-131.

– الحجج المؤسسة لبنية الواقع Les arguments qui fondent la structure du réel شأن المثل L'exemple والشاهد L'illustration والتمثيل L'analogie والاستعارة La métaphore.

– تقنية الفصل Procédé de dissuasion:

وهي تقنية قائمة على كسر عرى التآلف بين عناصر تقتضي في الأصل وجود وحدة بينها وتتأسس على ثنائية الظاهر L'apparence والحقيقة La réalité فالظاهر يرد الأشياء إلى ما هو معاين والحقيقة تكسبها هوية جديدة هي بمقتضاها تعبير عن الصورة المثلى لتلك الأشياء كما استقرت في الأذهان.

2–3– الحجاج عند ميشال مايير نظرية المساءلة le questionnement:

يرتبط الحجاج عند مايير بطبيعة الكلام في وظيفته التساؤلية، ذلك أن المساءلة من حيث هي عملية فكرية مؤسسة على سؤال وجواب يستدعي نقاشا يولد حجاجا، ويبدو أن المحاجة موجودة بالقوة في التداول اللغوي إذ لا يخلو خطاب منها سواء كان شفويا أم كتابيا.

ويأتي الحجاج في هذه النظرية بمظهرين، أحدهما مصرح به وهو السؤال، وثانيهما ضمني تعبر عنه الإمكانات المختلفة للإجابة عن السؤال الواحد، فيكون نصفه للمتكلم وهو الجانب المصرح به، ونصفه للسامع وهو الضمني.

أما عن مفهوم الحجة فهي "جواب أو وجهة نظر يجاب بها عن السؤال مقدر يستنتجه المتلقي من ذلك الجواب"[95].

ومنه فإن الحجاج عند مايير هو إثارة الأسئلة، وهذه الأخيرة هي التي يبنى عليها الخطاب.

2–4– الحجاج عند ديكرو وأنسكومبر:

اعتبر الباحثان الحجاج كامنا في اللغة متأتيا من بنية الأقوال لا من محتواها الخبري الذي يظل ثانويا، فلا دراسة للحجاج خارج نطاق دراسة اللغة، ما يجعله فعلا كلاميا Acte de langage يترل في إطار تداولي، يجعل اللغة تحمل في ذاتها بعدا حجاجيا بناء على ما تحتويه من فاعلية

[95] ينظر، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة، القارصي محمد علي، ص 395.

توجيهية، تتخطى حدود الإبلاغ إلى التوجيه الذي يستهدف السامع أو المتلقي، بحمله على ما رامه الخطاب من مقاصد.

3- الحجاج في الدراسات العربية :

شكل الإقناع نواة البحث الحجاجي، والرابط بين البلاغة القديمة (الأرسطية في صيغتها العربية القديمة)، والبلاغة الجديدة (نظريات الحجاج)، والتداولية (نظرية الأفعال الكلامية)، باعتباره هدفا يتحقق عبر توسل أدوات وأساليب بلاغية.

فتعددت بذلك الدراسات وتنوعت ما بين الكتب والمقالات المتفرقة، التي تراوحت بين الاستفادة من الموروث القديم، وبين استثمار الطروحات المعاصرة.

ولعل من أولى تلك الدراسات كتاب محمد العمري "في بلاغة الخطاب الإقناعي" الذي حاول فيه صاحبه تطبيق نظرية الإقناع عند أرسطو على نماذج من خطابة القرن الهجري الأول، متبعا في ذلك تقسيم أرسطو لعناصر البلاغة الثلاث وهي:

وسائل الإقناع أو البراهين، الأسلوب أو البناء اللغوي، وترتيب أجزاء القول[96].

وتأتي دراسات طه عبد الرحمن، في سياق ربط النظريات الحجاجية بالمنطق ومحاولة استثمار ذلك في تبيان منهج التراث، ومن أبرز أعماله "تجديد المنهج في تقويم التراث". وكذا المزاوجة بين القديم العربي والحديث الغربي، من خلال كتابه "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام" الذي يهدف فيه إلى إيجاد رابط منطقي لغوي يؤصل لنظرية تؤخذ بقوة المنطق وسلالة اللغة.

كما عقد بابا في كتابه "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي" تحت اسم الخطاب والحجاج [97]، عرض فيه أنواع الحجج وأصنافها، وركز على السلم الحجاجي، حيث أفرد له فصلا خاصا، و لم يقف عند هذا الحد، بل ذهب إلى دراسة الاستعارة من وجهة نظر حجاجية مؤصلا لها كما

---

[96] ينظر، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجا، العمري محمد إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002م، ص 20.

[97] ينظر، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، عبد الرحمن طه، المصدر السابق، ص 231.

وردت عند عبد القاهر الجرجاني [98]. ومن ناحية أخرى فقد اعتمدت أغلب الدراسات العربية المعاصرة على ترجمة النظريات الغربية، واستثمارها، ويأتي في طليعة هذه الأعمال كتاب "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم" إذ جمع عددا من النظريات هي على التوالي:

الحجاج عند أرسطو[99]، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مؤلف برلمان وتيتيكاه، مصنف في الحجاج[100]، ونظرية الحجاج في اللغة [101]، لوصف أعمال ديكرو، ونظرية المساءلة لمايير [102]، والأساليب المغالطية في الحجاج [103]، كما أسهم أبو بكر العزاوي في هذا المجال بدراسات ومقالات، أهمها ما جاء في كتابه" اللغة والحجاج" الذي عمد فيه إلى دراسة بعض الروابط الحجاجية في اللغة العربية [104]، مراهنا على أن اللغة الطبيعية تحمل من المعالم الحجاجية الشيء الكثير.

وما يميز دراسته هو الجمع بين التنظير والتطبيق، بخلاف الدراسات الحجاجية السابقة المستقاة من الدرس الحجاجي الغربي.

وكان حسان الباهي ممن أسهموا في درس الحجاج، فقد عرض له من وجهة نظر مختلفة تعنى ببيان كيفية توظيف المغالطة في الحجاج، في مقال بعنوان: "تهافت الاستدلال في الحجاج المغالط"[105]، مبينا فيه طبيعة القول المغالطي وخصائصه، ومقاصد المخاطبة المغالطية وأساليبها، ومواضع التغليط اللغوية .

---

[98] ينظر، المصدر نفسه، ص 304.

[4] ينظر، الحجاج عند أرسطو، الريفي هشام، ص 49-296.

[100] ينظر، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، صولة عبد الله من خلال مصنف في الحجاج، ص 297-350.

[101] ينظر، نظرية الحجاج في اللغة، المبحوث شكري، ص351-385.

[102] ينظر، البلاغة و الحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال مايير، القارصي محمد علي، ص 387-402.

[103] ينظر، الأساليب المغالطة مدخلا لنقد الحجاج، النويري محمد، ص 403-447.

[104] ينظر، اللغة والحجاج، العزاوي أبو بكر، دار العمدة ، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1426ه، 2006م، ص53-83.

[105] ينظر، تهافت الاستدلال في الحجاج المغالط، الباهي حسان، مجلة فكر ونقد، العدد 61، سبتمبر 2004م.

وما يمكن أن نلخص إليه هو أن أغلب الدراسات العربية وجد في النظريات الغربية المجال الخصب، فمنها من اكتفت بعرضها قصد تقريبها إلى الدارسين والمهتمين بحقل الحجاج، ومنها من سعت إلى توظيفها في الثقافة العربية بعد استيعابها، مع الدعوة إلى الاهتمام بدراسة موروثنا البلاغي لنخرج بنتائج تعيد لتراثنا دوره الاجتماعي والأدبي والفني. وتؤكد من جهة أخرى على سبقنا المعرفي إلى بعض القضايا التي تعد اليوم محور الدرس اللساني والبلاغي الغربيين.

4- جذور الحجاج في التراث العربي:

إن دراسة عملية التواصل، والحجاج، والإقناع، تعود جذورها إلى الدراسات التنظيرية للجاحظ، وحازم القرطاجني، والسكاكي وغيرهم، باعتبارها تهتم بالأثر الناتج عن الرسالة، والشروط التي تجعل الخطاب ناجحا، وتحفل بالمرسل والمتلقي، والرسالة، وعملية التأثير والتأثر، والقصد ونوايا المتكلم، والفائدة من الكلام، والإفهام.

وقد ذهب محمد العمري في كتابه البلاغة العربية أصولها وامتداداتها إلى أن للتداولية الحديثة بعد جاحظي في أساسه، وتحظى نظرية التأثير والمقام حاليا بعناية كبيرة في الدراسات السيميائية، ومن ثم الشروع في إعادة الاعتبار إلى البلاغة العربية تحت عنوان جديد هو التداولية[106].

وتتجلى جذور الحجاج عند الجاحظ من خلال تقسيمه للبيان إلى ثلاث وظائف واهتمامه أكثر بالوظيفة التأثيرية، التي تمثل جانبا مهما في التداولية.

وأرجع وظائف البيان إلى ثلاث وظائف أساسية هي[107]:

1- الوظيفة الإخبارية المعرفية التعليمية (حالة حياد، إظهار الأمر على وجه الإخبار قصد الإفهام).

2- الوظيفة التأثيرية (حالة الاختلاف) تقديم الأمر على وجه الاستمالة وجلب القلوب.

3-الوظيفة الحجاجية (حالة الخصام) إظهار الأمر على وجه الاحتجاج والاضطرار.

---

[106] ينظر، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، العمري محمد، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999م، ص 293.

[107] المرجع نفسه، ص 212، وينظر، البيان والتبين، الجاحظ، ج1، ص 76.

وهذه الوظائف تكاد تجد أصداء لها ضمن الصيغة الأوستينية لنظرية الأفعال الكلامية على نحو[108]:

-الأفعال التلفظية Locutoire ذات الصيغة التصريحية الإخبارية

-الأفعال الإنجازية Illocutoire غير المباشرة ذات الصيغة الإنجازية والتوجيهية

-الأفعال التأثيرية بالقول Perlocutoire الحجاجية.

ويمكن أن نخلص إلى أن النظرية البيانية عند الجاحظ اعتمدت مفهومين يعدان من صميم البحث الحجاجي هما التأثير والبيان.

وإضافة إلى القصد والإفهام، يشير القرطاجني إلى قضية التأثير (الإقناع) بين المتكلم والمتلقي، ويرى أنه ضروري في كل تواصل. ويقسم ردود الفعل التي يثيرها المتكلم في المخاطِب إلى عملية وسلوكية ووجدانية ويتوخى المتكلم التأثير في الأخر عن طريق ملفوظات منطقية أو موهمة بالمنطقية، وهذا الطرح نجد له تنويرا من تنويرات، حازم القرطاجني، في قوله "وإنما يصير القول الكاذب مقنعا وموهما أنه حق بتمويهات واستدراجات ترجع القول أو المقول به...باعتبار المخاطبات التي يحتاج فيها إلى تقوية الظنون في شيء"[109].

ولذلك فإن الحجاج ليس وسيلة إبلاغية فحسب، ولكن له غاية هامة وهي التأثير في الآخرين وحملهم على الاقتناع برأي ما مدعم بالحجج.

وإذا كان الحجاج يرتبط بأساليب إجراء اللغة، فإن الأمر لا يقتصر عند هذا الحد، بل يأخذ بعين الاعتبار ما تقتضيه نوعية الخطاب من جهة، ومستلزمات المتلقي، وسياق الحال وظروف الخطاب، والمتكلم، ذلك أن الحجاج في النهاية ليس سوى دراسة لطبيعة العقول، واختيار أحسن السبل لمحاورتها، والإصغاء إليها ثم إقناعها.

---

[108] ينظر، التداوليات النصية مقاربة في فهم الخطاب وتأويله، بلقندوز هواري، رسالة دكتوراه، إشراف يوسف أحمد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، 2009م، 2010م ، ص 28

[109] ينظر، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، القرطاجني حازم، المصدر السابق، ص 63.

أما فيما يخص المخاطَب، أو متلقي الخطاب، فإنه لابد من مراعاته في كل عملية حجاجية نظرا لتباين المخاطَبين وتعددهم، ما بين شاك أو منكر أو جاحد ذلك أن المخاطبين الذين يلقى إليهم الخبر يصنفون إلى ثلاثة أصناف[110]:

أ مخاطب خالي الذهن.

ب مخاطب شاك متردد.

ج- مخاطب جاحد منكر.

قصد إزالة الشك أو الجحود والإنكار لدى المتلقي.

وأما فيما يتعلق بظروف التخاطب وسياقات الكلام، فإن لها دورا مهما في عملية الإبلاغ ذلك أن طبيعة التأليف تتأثر بحسب المقامات والأحوال التي ترد فيها.

يقول في ذلك السكاكي "لا يخفى عليك أن مقامات الترهيب، ومقامات الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار..."[111].

وفيما يخص محتوى الخطاب الحجاجي أو الرسالة اللغوية، فإن الأمر يتعلق بمختلف الآليات اللغوية والبيانية التي يوظفها المخاطِب لتحقيق الغاية المرجوة، تصديقا أو تكذيبا، أو إنكارا أو ترهيبا أو إقرارا، وهذا ما نجده ماثلا لدى السكاكي في معرض حديثه عن "الإسناد الخبري"، يقول في هذا الصدد: "أما الاعتبار الراجع إلى الحكم في التركيب من حيث هو حكم من غير التعرض لكونه لغويا أو عقليا فإن ذلك وظيفة بيانية، فكون التركيب تارة غير مكرر ومجردا من لام الابتداء وإن المشبه والقسم ولامه ونوني التوكيد كنحو(عرفت عرفت) و(لزيد عارف)، و(إن زيدا عارف) و(إن زيدا لعارف) و(والله لقد عرفت أو لأعرفن) في الإثبات وفي النفي كون التركيب غير مكرر ومقصورا على كلمة النفي مرة، كنحو (ليس زيد منطلقا) وغير مقصور على كلمة النفي كنحو

---

[110] ينظر، في بلاغة الخطاب الإقناعي، العمري محمد، ص 35.

[111] ينظر، مفتاح العلوم، السكاكي، تح عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2000 م، ص 256.

(ليس زيد بمنطلق) و(ما إن يقوم زيد) و(والله ما زيد قائما)، فهذه ترجع إلى نفس الإسناد الخبري"[112].

نفهم من كلامه أن المخاطِب يأخذ بعين الاعتبار كافة الظروف والأحوال حتى يكون خطابه ملائما وأكثر إقناعا وتأثيرا في المتلقي.

وطالما أن الحجاج يهدف إلى التأثير باعتبار أن اللغة من الوجهة التداولية الحديثة فعلا وحجاجا، وليست نقلا للمعلومات وإخبارا عنها [113]، فإنه من الضروري توسل الآليات اللغوية التي تحقق ذلك وهو جوهر نظرية الحجاج اللغوية.

نصل في النهاية إلى القول بأن الحجاج هو الإقناع في حد ذاته لأنه يشكل الهدف الأساسي الذي يُنشَدُ تحقيقه مهما تنوعت أساليبه وتقنياته وأنواعه كما يكشف عن شخصية صاحبه، حين تعامله مع اللغة الطبيعية بخلاف البرهان، ويتميز عنه في النتائج الاحتمالية ثم إنه فعالية خطابية تواصلية موجهة لمستقبل معين سواء كان فردا أو جماعة في شكل جمهور، يؤدي دورا هاما في اختيار استراتيجية الحجاج. فيختار المرسل من الحجج ما يناسب السياق التواصلي ليضعها في قالب لغوي يناسب عقل المرسل إليه.

وبذلك تعددت نوايا النظر إليه باختلاف الدارسين له، كما تجلت آثاره أيّما تجلٍ في الدراسات التراثية المختلفة، ثم اكتسب ميزات وخصائص أهلته لأن يرقى إلى مرتبة النظرية.

وبالرغم من أن مفهوم الحجاج المنبثق عن اللسانيات الحديثة عصي عن الضبط بالنظر إلى تعدد مظاهره واستعمالاته ومرجعياته، فإننا نشير في هذا المقام إلى أن النشاط الحجاجي ليس سوى فعل غائي يهدف إلى الحث والتحريض وتغيير أفكار المتلقي ومعتقداته.

---

[112] المصدر نفسه، ص 255.

[113] ينظر، حول مفهوم الحجاج في الفلسفة، مقاربة فلسفية لسانية ديداكتيكية، رويض محمد، مجلة فكر ونقد، المغرب، العدد26.

وضمن هذا المسعى يبرز الحجاج كمجال واسع وثري من الحقل التداولي، يقوم على أساليب وتقنيات ترمي إلى حمل الآخرين على الاقتناع بما يعرض عليهم والتأثير فيهم، ميدانه حقل اللغة مادامت وظيفتها الجوهرية هي الحجاج، وأن المعنى ذو طبيعة حجاجية.

الفصل الثاني

الحجاج التداولي المفهوم والآليات

أولا– الأفعال الكلامية والحجاج

1- الحجاج عند أوستين

2- الحجاج عند سورل

3- قواعد المحادثة عند غرايس والحجاج

ثانيا– الحجاج التداولي

1- الحجاج التداولي مفهومه ومبادئه

2- خصائص الحجاج التداولي

3- آليات الحجاج التداولي

اعتبرت الاتجاهات اللسانية منذ دي سوسير De Saussure، أن الوظيفة الأساسية للغة هي الإخبار وأن مفهوم التواصل la communication يعني هو الآخر نقل المعلومات إلى المتلقي، وبذلك يكون فعل الإخبار الفعل اللغوي الرئيسي.

وكل قول إخباري أو إثباتي هو تمثيل للواقع، ومن ثم فهو يخض ع لمعيار الصدق أو الكذب هذه النظرة تعرضت لانتقادات كثيرة من قبل عد كبير من اللغويين والفلاسفة، خصوصا فلاسفة اللغة العادية، المنتمين إلى المدرسة أكسفورد من أمثال ستراوسن، أوستين، سورل.

لاحظ هؤلاء أن ثمة طائفة كبيرة من الأقوال لا تتمثل وظيفتها في الإخبار، ولا تصف أي واقع، ولا تخضع لمعيار الصدق أو الكذب، منها الأقوال الإنجازية performatif التي تبدو بعضها في ظاهرها وصفية descriptive، مما حذا بأوستين إلى أن يطلق عليها مصطلح الخداع أو الوهم الوصفي l'illusion descriptive[114]، فبمجرد النطق بها ننجز أفعالا، لا نصف بها واقعا معينا، ولا يمكن أن نقول عنها إنها صادقة (مطابقة للواقع) أو كاذبة (غير مطابقة للواقع) وهذا النوع من الأقوال شكل نقطة انطلاق لظهور اتجاه لساني آخر مناقض للاتجاه الأول، يعرف بالاتجاه التداولي (البراغماتي).

وبالتالي لا يمكن اعتبار الإخبار الوظيفة الأساسية والوحيدة للغة، إذا إننا نستعملها لإنجاز أفعال عديدة، ولتغيير الواقع أو لتغيير علاقاتنا وللتأثير في الغير وفي الأشياء.

ويذهب ديكور Ducrot إلى أن كل نشاط يقوم به شخص معين يمكن اعتباره فعلا Acte أو عملا يهدف إلى إحداث " تغييرات متعلقة بالوضع الفيزيائي أو الاجتماعي للمتكلم، فنفس العمليات يمكن وصفها بأنها نشاط أو فعل وعمل، بحسب ما إذا كنا نراها في ذاتها أو باعتبارها تغييرا لعلاقة من يؤديها مع العالم"[115]

ما يعني أن الفعل اللغوي، يتسم بخاصيتين هما:

---

[114] Voir, Quand dire c'est faire, Austin J.L, Traduction de Gilles Lane, éditions du seuil, paris, 1970, p15.

[115] Voir, Dire et ne pas dire, Ducrot. O, Hermann éditeur ,3eme édition, paris, 2003.p77.

كونه نشاطا يرمي إلى تحويل الواقع، وفعلا قانونيا يقوم بتحويل العلاقات بين الأشخاص المعنيين.

انبثقت نظرية الحجاج في اللغة من صلب نظرية الأفعال الكلامية التي أرسى دعائمها كل من أوستين، وسورل، ثم قام ديكرو بتطويرها فأضاف فعلين هما فعل الحجاج Acte de l'argumentation وفعل الاقتضاء L'acte de présupposer ما يشير إلى أن الحجاج ذو طبيعة لغوية لسانية.

ويرى العزاوي أن نظرية الحجاج في اللغة تتعارض مع كثير من النظريات والتصورات الحجاجية الكلاسيكية التي تعد الحجاج منتسبا إلى البلاغة الكلاسيكية (أرسطو)، أو البلاغة الحديثة برلمان، أولبراخت تيتيكاه، ميشال مايير أو منتسبا إلى المنطق الطبيعي جان بليز غريز ، ثم يختم كلامه قائلا إن هذه النظرية وضع أسسها اللغوي الفرنسي أزوالد ديكرو منذ 1973م[116] .

نفهم من ذلك أن الحجاج اللغوي ذو طبيعة تداولية يختلف عن المنطق والجدل ميدانه اللغة بوصفها خطابا يستهدف التأثير.

أولا – الأفعال الكلامية والحجاج:

1– الحجاج عند أوستين J.L. Austin

ظهرت فكرة الحجاج من داخل حقل الأفعال الكلامية، حين قدم أوستين كتابا حول نظرية الأفعال الكلامية*، حاول فيه ربط اللغة بالاستعمال أو الإنجاز، مهتما بالكلام الذي أهمله سوسير. أدى هذا الأمر إلى وضع تصور جديد للغة من خلال تقسيمه الجمل إلى وصفية وإنشائية (إنجازية) مميزا بينهما.

---

[116] ينظر، العزاوي أبو بكر، اللغة والحجاج، ص17

* العنوان الأصلي هو How to do things with word وهو عبارة عن اثنتي عشرة محاضرة، نشرت عام 1960م، وترجم إلى الفرنسية تحت عنوان Quand dire c'est faire، عام 1970م. وترجم أيضا إلى العربية بـــالقول هو الفعل، ينظر، الملفوظة، سرفوني جان، تر قاسم المقداد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1998، ص64.

فالجمل الوصفية أو التقريرية: constative لا تميل إلا إلى وصف الحدث من غير ادعاء بتغيير الأشياء، في حين تكون أدائية أو إنجازية performative حين تقوم بتحويل الواقع.[117]

فالعبارات الوصفية constative هي جمل خبرية تصف شيئا ما ويمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب"، وأما الجمل الإنشائية performative فهي التي لا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب.

وقد ارتضى أوستين مصطلح الإنشاء لأنه يدل على الإنجاز يقول في ذلك: " ولقد اشتق لفظ الإنشاء من الفعل أنشأ perform وهو فعل يستخدم في اللغة الإنجليزية عادة مع اسم الحدث action ويدل على أن إحداث التلفظ هو إنجاز لفعل، وإنشاء لحدث"[118]. أي التلفظ بجملة ما في ظروف مناسبة ليس وصفا للقيام بالفعل، و لا هو إخبار بأننا نقوم به، إنه عين القيام بالفعل.

ثم ميز في ضوء نظرية الأفعال الكلامية بين ثلاثة أنواع من الأفعال المرتبطة بالحجاج تقابل الأولى منها أفعال التلفظ المرتبطة بمخارج الحروف الفيزيائية، والثانية أفعال متعلقة بمقاصد العبارة أو إنجازيها، وتتعلق الثالثة منها بالموقف الخطابي أو السياق وتؤدي دورا حجاجيا من خلال اقترانها بالإثبات والإنجاز.

تقول آن روبول A. Reboul "يميز أوستين بين ثلاثة أنواع من الأعمال اللغوية"*، العمل الأول هو العمل القولي، ويتحقق ما إن نتلفظ بشيء ما، أما الثاني فهو العمل المتضمن في القول، وهو

---

[117] ينظر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ديكرو أزوالد، سشايفر جون ماري، تر منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2007م، ص692.

[118] نظرية أفعال الكلام العامة، أوستين جون لانكش و، كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، 1991م، ص17.

* آثر الباحث طه عبد الرحمن استعمال مصطلحات مشتقة من نفس المادة (ك.ل.م) لتسمية مستويات الفعل اللغوي واقترح: الفعل الكلامي أو فعل الكلام كمقابل لمصطلح l'acte locutoire، والفعل التكلمي أو فعل التكلم كمقابل المصطلح l'acte illocutoire والفعل التكليمي أو الفعل التكليم كمقابل لمصطلح l'acte perlocutoire، مستثمرا الخاصية الاشتقاقية للغة العربية، ينظر، اللسان والميزان، عبد الرحمن طه، ص260.

العمل الذي يتحقق بقولنا شيئا ما، وأما الثالث فهو عمل التأثير بالقول وهو العمل الذي يتحقق نتيجة قولنا شيئا ما".[119]

ما يدل على أن الكلام يتضمن فعلا حجاجيا، يجسده التلازم والاقتضاء بين أفعال الكلام.

مستويات الفعل اللغوي أو الكلامي:[120]

- فالفعل الأول هو الفعل الكلام (الفعل اللغوي) Acte locutoire.

أي إطلاق ألفاظ تقع كأفعال بمجرد القول وينسحب على تركيبة ثلاثية العناصر هي[121]:

الفعل التصويتي l'acte phonétique

الفعل التأليفي l'acte phatique

الفعل الإحالي l'acte Rhétique

-أما الفعل الثاني فهو قوة الكلام أو الفعل المتضمن في القول (الفعل الإنجازي) Acte illocutoire.

ويكتسب قوته من الإثبات التي يحتويها والتي تعتبر حجة، ويعني إنجاز فعل ما، تؤديه الصيغة التعبيرية الناتجة عن تحقيق الفعل الكلامي، أي الفعل التواصلي الذي تؤديه هذه الصيغة في سياق معين، وتكون وظيفته الأولى والمباشرة، تغيير مقام المتكلمين، قد يكون استفهاما أو إخبارا أو وعدا.

---

[119] ينظر، روبول آن موشلار جاك، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 2003م، ص 31، 32.

[120] ينظر، نظرية أفعال الكلام العامة، المصدر السابق، ص 121، 122، وينظر، اللسان والميزان، ص 260، وينظر، الملفوظية، سارفوني جان، ص67.

وينظر أيضا:

- Dictionnaire encyclopédique de Pragmatique, Moeshler Jaques et Reboul Anne, Editions du seuil, Paris, 1994, p62.
- Quand dire c'est faire, Austin, Op. Cit, p114.

[121] Ibid. p61.

يسميها أوستين القوى الإنجازية أو الأفعال المتضمنة في القول أو الإنجازيات ويسوق ديكرو مثالا توضيحيا في المقدمة التي وضعها لكتاب سورل الأفعال الكلامية كالآتي:

هل سيكون الجو جميلا غدا؟

يقول إذا ما اعتبرناه جزءا من مقال أو خطبة فليس له من دور سوى التعبير عن شك أو قلق أما إذا تم تموضعه داخل علاقات الخطاب التي يسميها أوستين أفعالا خطابية سيجعل منه سؤالا يفترض على مستمعيه الإحالة عليه.

ويرى ديكرو أن تحديد أوستين للفعل الخطابي (الإنجازي) على أنه مبني على العلاقات التي تتأسس بين المتحاورين في خطاب ما، تعريف عام غير محدد.

ويذهب إلى أن "إنجاز متكلم لفعل كلامي (خطابي) كالاستفهام مثلا يجعله يسند إلى نفسه دورا وفي نفس الآن يسند إلى المستمع دورا آخر، إذ يوضع الأول للسؤال يعبر عن رغبته في جواب الثاني، فالمستمع هو المخصوص بفعل الخطاب لأنه يدخل في علاقة تضطره للجواب"[122].

ولكل فعل كلامي إنجازي قوة Force ومحتوى قضوي Contenu – Propositionnel ويقدم أوستين ثلاثة معايير لتحديده:

1- إنه فعل ينجز في الكلام ذاته وليس نتيجة تنتظر منه.

2- يفسر بصيغة إنشائية تفصح عنه، مثل: أعدُ، أطلبُ، آمرُ.

3- ذو طبيعة تواضيعة اصطلاحية.

- وأما الفعل الثالث فهو لازم فعل الكلام أو الفعل التأثيري Acte perlocutoire فيعرف من خلال مفهوم الأثر، أو التأثير، لأن قول شيء ما غالبا، يسبب بعض التأثير على المشاعر والأفكار وتصرفات المستمعين، أو على تصرف المتكلم نفسه، أو على شخص آخر أيضا، وكأمثلة عن ذلك هناك: أقنع، باغت، أغضب، أقلق، أراح، عزّى، أغوى أو خدع.[123] وبذلك يعد ثمرة

[122] ينظر، السياق والنص الشعري، آيت أوشان علي، إفريقيا الشرق، دار الثقافة، ط1، 2000م، ص 70.

[123] ينظر، الملفوظية، سرفوني جان، المرجع السابق، ص67.

أو نتيجة منطقية مترتبة عن الفعلين السابقين، بل يجسد الغرض التداولي من الكلام المتمثل في التأثير، ما يجعلنا نستنتج أن الكلام مبني على الحجاج ويتجسد ذلك في الآثار المترتبة عن الفعل، كتعديل أفكار المخاطَب أو عاداته أو سلوكه.

وما دامت كل رسالة موجهة إلى مخاطب معين، فإنها تسعى إلى إقناعه بفعل ما Convaincre، وكنتيجة لذلك استجابته لهذا الفعل، وتنعت هذه الاستجابة فعل التأثير في الخطابActe perlocutoire، إلا أن هذا الخطاب لن يستجيب إلا إذا تمركز في ذهنه فعل الاقتناع Persuader، والفرق بين أقنع Convaincre، واقتنع Persuader، يكمن في أن:

الفعل أقنع يشترك فيه المخاطِب والمتلقي، بينما الفعل اقتنع يتعلق بالملتقي فحسب.*

يقودنا هذا إلى أن الكلام مبني على خاصية حجاجية بناء على تسلسل الأفعال الكلامية ما يعكس رؤية حجاجية تداولية تتماهى في بنية الفعل.

وتتضح هذه الفكرة أكثر بالمثال الآتي:

- يقول الأب "نظف أسنانك".

- فيرد الابن قائلا " لا أشعر بالنعاس".

فالأب في قوله ينجز عملا قوليا وعملا متضمنا في الوقت ذاته ويتمثل في أمر ابنه بتنظيف أسنانه. وبالمقابل ينجز الابن ثلاثة أفعال كلامية في جوابه (لا أشعر بالنعاس)، فالعمل الأول نطقه بالجملة، والعمل المتضمن في القول إخباره وإثباته عدم الرغبة في النوم، وفي العمل الثالث ينجز عملا تأثيريا

---

* يرتبط الإقناع بالحجاج الخطابي الذي يهدف إلى التقريب بين المتحدث والمتلقي ذلك أنه مرتبط بالقول كسائر أعمال التأثير الأخرى، لا يكون فقط بالمواضعا ت اللغوية أو بالمتحدث، بل له علاقة بتهيؤ السامع، ولهذا فإمكان تحققه مرهون بذلك، ينظر، الحجاج عند أرسطو، الريفي هشام، ص 143، 144.

وأما عن الفرق بين الإقناع والاقتناع، فيرى طه عبد الرحمن أن الاقتناع يترتب وينتج عن الإقناع، ينظر، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، ص38.

أما عند برلمان وتيتيكاه فيرتبط بما هو عقلي أكثر من الإقناع الذي قد يرتبط بما هو ذاتي، وبناء على ذلك قسما الحجاج إلى: حجاج إقناعي يرمي إلى إقناع الجمهور الخاص، وحجاج اقتناعي غايته أن يسلم به كل ذي عقل، ينظر، صولة عبد الله، الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكاه، ص 300- 306

حجاجيا يتجلى في إقناعه لأبيه بعلة إهماله لتنظيف أسنانه من خلال قوله أن النعاس لا يداعب عينيه[124].

أقر أوستين بأن كل جملة بمجرد التلفظ بها توافق على الأقل إنجاز عمل قولي وعملا متضمنا في القول، وتوافق كذلك القيام بعمل تأثير بالقول (حجاج)، وأفرد محاضراته الأخيرة لتصنيف مختلف أنواع الأعمال الإنجازية بناء على قوتها الإنجازية.[125]

نستنتج مما سبق أن الحجاج يستند إلى الأفعال الكلامية لتحقيق التأثير على المتلقي، بحسب الموقف الكلامي، ما يكسب هذه الأفعال إضافات اجتماعية لها حضورها في إطار العلاقات بين الفاعلين في الخطاب، وبالتالي تتجاوز اللغة وظيفة الإخبار لتصبح نشاطا اجتماعيا على حسب رأي ديكرو.

تندرج الخطابات الحجاجية المختلفة في صميم نظرية الأفعال الكلامية وأغراضها السياقية وأبنية أقوالها، وتهدف بذلك إلى إحداث تغيير في سلوك المتلقي، مادام أننا نتكلم بهدف التأثير، وأن بنية اللغة وبنية الفكر واحدة، ومن ثم تصبح اللغة أداة تواصل وتخاطب ووسيلة للتأثير في العالم وتغيير السلوك الإنساني من خلال مواقف كلية.[126]

وبالتالي يكون الحجاج مرادفا للفعل.

---

[124] ينظر، التداولية اليوم، روبول آن، موشلار جاك، المصدر السابق، ص32.

[125] Voir, Quand dire c'est faire, Austin Op.cit., p 153-154 douzièmes conférences

وهذه الأفعال هي :(الوعديات) Promissifs(أفعال التمرس) exercitifs - (الحكميات) verdictifs (الاثباتيات أو التبينيات) expositifs - (السلوكيات) comporatifs

[126] ينظر، نظرية أفعال الكلام العامة، أوستين، ترجمة عبد القادر قنيني، المصدر السابق،ص06

2 – الحجاج عند سورل J. R. searle

برز اهتمام سورل بالحجاج من خلال حديثه عن القصد Intention والمواضعة convention[127] التي تعتبر شرطا أساسيا في كل عملية كلامية ذلك أن الأفعال الأدائية تحمل جوهرها إثباتا أو حجة تدل على قصد المتكلم مما يجعل الحجاج مرهونا بالقصدية.

ثم صنف الأفعال الكلامية إلى أنواع بحسب وظائفها الحجاجية إلى أفعال إنجازية مميزا بينها وبين ما يترتب عنها والتي أطلق عليها الأفعال التأثيرية Acte perlocutoire كالحث والإقناع والتوقع وما يميز بينها هو القصد، ذلك أنه لتحقيق فعل الوعد مثلا لابد للقائل أن ينوي تبليغ مخاطبه بقصده، في حين لا يشترط ذلك في الأفعال التأثيرية لأنها نتيجة مترتبة عن الفعل اللغوي.

وبناء على ذلك يرتبط الفعل الكلامي (الأدائي) بالحجاج من خلال الإنجاز.

ثم ميز بين المحتوى القضوي (الفعل القضوي acte propositional)* أي ما يتصل بمضمون الفعل، والقوة المتضمنة في القول أو ما يسميه العمل المتضمن في القول في حد ذاته، وما ينتج عنه من تأثير وأعاد صياغة الفعل الكلامي كالآتي:[128]

أ– أن تتكلم، يعني أنك تحقق الفعل التلفظي acte d'énonciation

ب– أن تسند الكلمات إلى بعضها وتحيل بها على مراجعها، يعني أنك تحقق الفعل القضوي acte propositionnel.

ج– أن تخبر أو تعد أو تستفهم، معناه أنك تحقق الفعل الإنجازي acte illocutoire.

---

[127] ينظر، المصدر السابق، ص33.

* أدرج سورل الفعل القضوي لتدارك الالتباس الحاصل بين الفعل الإحالي والفعل الإنجازي، ويرمز لكل محتوى قضوي للملفوظات الإنجازية بـــ f(p)، ويترجم إلى العربية بـــ ق(ض) ويتضح ذلك بالأمثلة الآتية:

– جون يدخن كثيرا – دَخِنْ كثيرا جون .

– هل يدخن جون كثيرا ؟ – كمْ إنَّ جون يدخن كثيرا !

إذ تحمل محتوى قضويواحدا لكنها تختلف في قوتها الإنجازية.

[128] Voir .Dictionnaire encyclopédique de pragmatique. Op.cit. p 64-65.

د- أن تحدث التأثير بالقول على الآخرين فتدفعهم إلى تعديل مواقفهم وعاداتهم، معناه أن تنجز الفعل التأثيري acte perlocutoire.

فضلا عن استفادته من قواعد غرايس Grice المحادثاتية خصوصا ما تعلق بالعملية التخاطبية، لما يحاول أحد الطرفين التأثير في الآخر بالمحاججة فيقنعه ليتواصل معه، ما مكنه من وضع شروط تضمن نجاح العمل المتضمن في القول.

ويشير جاك موشلار، وآن روبول في كتابهما إلى تمييز سورل لمجموعة من القواعد التحضيرية المتصلة بالسياق وهي:[129]

1- قاعدة المحتوى القضوي:

يقتضي إنجاز فعل القول، إنجاز فعل ما في المستقبل كالوعد مثلا.

2- القواعد الأولية:

تتعلق بالاعتقادات، إذ يسعى المتكلم لأن ينجز المخاطب ما أمر به.

3- قاعدة النزاهة:

ترتبط بالحالة الذهنية للقائل، لذا تعد قاعدة أساسية في كل تحاور يهدف فيه المرسل إلى التأثير على المتلقي، لذا يفترض أن يكون نزيها.

4- القاعدة الجوهرية:

وتحدد نوع الفعل الذي يقدمه أحد المتحاورين.

5- قواعد المقصد والمواضعة:

تحدد مقاصد المتكلم والكيفية التي ينجز بها هذه المقاصد بواسطة المواضعات اللغوية ما مكنه من إعادة تصنيف الأفعال الكلامية وفق الأفعال المتضمنة، والتي أوردها كالآتي:[130]

---

[129] ينظر، روبول آن، موشلار جاك، التداولية اليوم، المصدر السابق، ص34 .

[130] ينظر، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، نحلة محمود أحمد، ص 78-80.

أ- الإخباريات (الإثباتات) Assertifs

حين تبليغ خبر ما، أو واقعة، وتقبل الصدق أو الكذب

ب- التوجيهات (الأدائية) Directives

يحاول فيها المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما، ولا تقبل الصدق أو الكذب كالاستفهام، والأمر، والرجاء... مثل الطلبيات.

ج- الالتزاميات (أفعال التعهد) Promissifs

التزام وتعهد المتكلم بفعل شيء في المستقبل مثل: النذور، العهود، المواعيد، الرهان ولا تقبل الصدق أو الكذب، وشرط صدقها هو القصد.

د- التعبيريات Expressifs

التعبير عن الموقف النفسي تعبيرا يتوافر فيه شرط الاخلاص، كالاعتذارات، التشكرات، التهاني...

هـ- الإعلانيات Déclaratifs

تكون بمجرد التلفظ بها، وتخضع للمقام ومقتضياته، وهي ذات صلة بالحجاج بالنظر إلى الأثر والتغيير الذي تحدثه.

نستنتج مما سبق أن سورل ربط الفعل الكلامي بمفهوم القصدية، لذا لقيت آراؤه رواجا وقبولا لدى الكثير من الدارسين وفي مقدمتهم ديكرو Ducrot، الذي درس كتاب سورل واستلهم منه أهم مقومات الدرس الحجاجي اللغوي.

والتداولية لا تقتصر على دراسة الأفعال الكلامية فحسب، بل تمتد لتشمل مبادئ التخاطب والتحادث، تعرض فيها الحجج وفق منطق المحادثة ومبادئ التخاطب، التي أرساها غرايس Grice في دراسة للعملية التواصلية الحوارية، إذ يمثل أساس الحجاج في التداولية لأنه يبرز ويظهر بشكل جلي في الخطاب.[131]

[131] ينظر، التداولية اليوم، ص55

3- قواعد المحادثة عند غرايس H.P Grice والحجاج

من أهم الجهود التداولية التي اهتمت بالتحادث والتخاطب ما عرف بمنطق المحادثة لغرايس، وهو مقال نشر عام 1957، يمثل نقله نوعية في مجال التداولية، حيث استنتج جملة من القواعد والمبادئ المتعلقة بالعملية التواصلية، تقوم على قواعد يتم من خلالها تحديد نجاح أو فشل العملية الحوارية.[132]

لقد أحدث غرايس مفهومين جديدين أثرى بهما الدرس التداولي هما مبدأ التعاون والاستلزام الخطابي وعدهما أساس كل عملية تخاطبية، ذلك أن القول عنده يعني حاصل التلفظ بجملة، وهو بتغير هذه الملابسات والقائلين.

وبذلك يعدان دعامة أساسية في إنتاج الأقوال أو تأويلها أثناء التخاطب أو الحجاج.

يفترض غرايس أن المتخاطبين المساهمين في محادثة مشتركة يحترمون مبدأ التعاون، فالمشاركون يتوقعون أن يساهم كل واحد منهم في المحادثة بكيفية عقلانية ومتعاونة لتسيير تأويل أقواله.

اقترح غرايس مجموعة من المسلمات(قواعد التخاطب) من شأنها أن تضبط عملية التخاطب، تقوم على مبدأ عام هو مبدأ التعاون Principe de coopération وتحدث ظاهرة الاستلزام الحواري Implicature conversationnel حينما يحصل تباين بين ما يقال وما يفهمه المتلقي.

ويستند مبدأ التعاون إلى جملة من القواعد يجب على المتخاطبين مراعاتها واستغلالها، لنجاح العملية التواصلية وهي كالآتي:[133]

1- مبدأ الكم: Maxime de quantité:

امتلاك المناقش لكمية من المعلومات المطلوبة لا زيادة فيها ولا نقصان، من أجل إنجاح المحادثة، إذ شعاره لتكن إفادتك للمخاطب على قدر حاجته.

---

[132] ينظر، التداولية عند العلماء العرب، صحراوي مسعود، ص33

[133] ينظر، عبد الرحمن طه، اللسان والميزان، ص 238، وينظر، يونس محمد علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان،ط1، 2004م، ص49.

2- مبدأ الكيف Maxime de qualité:

المساهمة في النقاش تكون حقيقة لا تؤكد ما يعتقد صاحبها أنه خطأ، أي لا تقل ما ليست لك حجة عليه.

3- مبدأ العلاقة Maxime de relation [pertinence]:

يجب التحدث في صميم الموضوع، ويشمل ذلك علاقة أقوال القائل السابقة بأقوال الآخرين.

4- مبدأ النوع Maxime de manière :

التزام الوضوح في الكلام وتجنب الالتباس في الحديث مع مراعاة الاختصار والمنهجية، فنزاهة القائل مثلا تقتضي ألا يكذب في استعمال الحجج الكافية لإثبات ما يثبته.

تمثل هذه القواعد قوانين التواصل والتحاور قصد تحقيق التفاهم، والحجاج باعتباره شكلا من أشكال الحوار والتواصل يرتبط بها أشد الارتباط.

يقول طه عبد الرحمن "هاته القواعد ضرورية من أجل تحقيق التفاهم والتواصل بين الطرفين وعليه فهي تمثل منطلقات لكل حديث يجري بين طرفي الخطاب" [134]، أما الاستلزام الخطابي فيقابل ما تم تبليغه، ويختلف عما قيل، ويؤكد غرايس على وجود طريقتين للتبليغ هما: طريقة تواضعية تستدعي استلزاما تواضعيا، وطريقة محادثاتية تقتضي استلزاما محادثاتيا ، ولتوضيح ذلك نورد المثال الآتي:

لنفترض أن شخصا ما يعتقد أن الجزائريين شجعان، ويريد تبليغ ذلك إلى غيره إذ يمكن أن يبلغه بثلاث طرق هي: "إن الجزائريين شجعان" أو "فلان جزائري، إذن هو شجاع " أو "فلان جزائري إنه شجاع ".

[134] ينظر، عبد الرحمن طه، المصدر السابق،239.

ما يقصد تبليغه (أن الجزائريين شجعان) وبالتالي تستوفي هذه الجملة الدلالة التواضعية لها بتأويل القول، فلا يوجد استلزام خطابي.

في حين يبلغ أكثر مما يقوله، حينما يقول فلان جزائري وأنه شجاع، يبلغ أنه شجاع من خلال جزائريته، فيستنتج أن الجزائريين إذن شجعان، ويصبح بذلك استلزاما خطابيا، ولكن هذا الاستلزام في الحالة الثانية تولد بكيفية تواضعية بواسطة (إذن) الرابط.

بناء على ما تقدم يتضح أن الاستلزام الخطابي يقوم على الاستدلال في مجال تأويل الأقوال، تحكمه قواعد لا تمثل مجرد قوانين يجب اتباعها، بل تمثل تصورا لما يتوقعه المخاطبون عنه، وبالتالي تعد في الأصل مبادئ تأويل أكثر من كونها قواعد سلوك، ولذا تدرج ضمن سياق التيار المعرفي.[135]

وفي مقابل ذلك يوجد استلزام حواري الناتج عن الاستلزامات الخطابية، فمثلا يقول الأب لابنه "نظف أسنانك" فيجيبه ابنه "لا أشعر بالنعاس" لتكون نتيجة حتمية لاستثماره قاعدة العلاقة ذلك أن رفض تنظيف الأسنان هو استلزام محادثاتي، إذ لا توجد فيه مواضعة بين النوم ونظافة الأسنان، وهذا الاستدلال يمثل أيضا نمطا من الاستلزام الحواري، وعليه فإن الاستلزامات الخطابية وخاصة الحوارية تتولد عن طريق الاستدلال.[136]

ولذلك فهي مقيدة بقواعد المحادثة والاستدلال، ونمطها الشكلي ينطلق من مقدمات منطقية إلى نتيجة ويتوقف فيها على صدق هاته المقدمات أو كذبها في حين أن الاستلزام الحواري لا يعتمد هذا النمط البرهاني بل هو عرضة للخطأ وسوء الفهم أو البطلان.

وقد استفاد دارسوا الحجاج من آرائه باعتباره حوارا بين متكلم ومتلق تحكمه قواعد المحادثة، فنحن حين نتكلم نسعى من جهة إلى حمل المخاطب على أن يتقاسم آراءنا، ونسعى من جهة أخرى إلى حمل الآخرين على الاقتداء بأكبر قدر ممكن من آرائنا.

---

[135] ينظر، التداولية اليوم، ص57.

[136] ينظر، المصدر نفسه، ص 62، 63.

نستخلص من كل ما سبق أن الحجاج انبثق من رحم الفعل الكلامي من خلال جهود أوستين، وسورل، هذا الأخير حاول ربط الفعل بالمواضعة والقصدية، بينما درسه غرايس من منطلق حواري تواصلي ضمن شروط المحادثة، ما مكن ديكرو من إرساء معالم نظرية الحجاج منطلقا من فكرة مفادها أن اللغة تؤدي دورا إقناعيا تأثيريا.

ثانيا– الحجاج التداولي:

يعتبر ديكرو من مؤسسي نظرية الحجاج، باعتبارها نظرية لسانية تهتم بدراسة الوسائل اللغوية والإمكانات التي تحويها اللغة الطبيعية التي تتيح للمتكلم توجيه خطابه وجهة ما تمكنه من تحقيق أهدافه الحجاجية، منطلقة من فكرة جوهرية هي أننا نمارس الكلام بقصد التأثير في غيرنا.

وبذلك تؤدي اللغة وظيفة حجاجية على غير وظيفتها الإخبارية التي تظل ثاوية ما يعني أن الحجاج مسجل في بنية اللغة ذاتها وليس مرتبطا بالمحتوى الخبري للقول ولا بمعطيات مقامية بلاغية. يقول ديكرو في هذا الإطار " ترتبط التسلسلات الحجاجية في الخطاب بالبنية اللغوية، لا بمحتواها الخبري"[137]

انبثقت إذن نظرية الحجاج من صلب نظرية الأفعال الكلامية التي أسسها أوستين، وسورل ثم طورها ديكرو وأضاف فعلين هما فعل الاقتضاء وفعل الحجاج ثم أعطى تعريفا مغايرا للإنجاز واصفا إياه بأنه كل "فعل لغوي يهدف إلى إحداث تحويلات قانونية، ما يفرض على المتلقي نمطا معينا من النتائج "[138] .

1–الحجاج التداولي مفهومه ومبادئه:

يعني الحجاج في هذا الإطار " تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة أو إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب" [139]، ويعرف أيضا بأنه "إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة

[137] Voir, l'argumentation dans la langue, J.Cloude Anscombre et O. Ducrot, Pierre Mardaga éditeur, Bruxelles, 1997, p 07

[138] Voir, dire et ne pas dire, Ducrot, op .Cit, p285-286

[139] ينظر، اللغة والحجاج، العزاوي أبوبكر، ص16.

الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها" [140]. وبناء على ذلك تحمل اللغة سمة حجاجية، لأن آلياتها الخطابية محددة بواسطة بنية الأقوال التي تعد أساس التراكيب اللغوية تؤدي دورا إقناعيا تأثيريا.

يتمثل الحجاج عند كل من ديكرو Ducrot وأنسكومبر Anscombre في " تحقيق فعلين هما فعل التصريح بالحجة من جهة وفعل النتيجة من جهة أخرى، سواء كانت النتيجة صريحة أو ضمنية "[141].

وذهبا إلى أن للأفعال الكلامية وظيفة حجاجية، بفعل مؤشرات تحملها البنية التركيبية، تحدد قيمتها بعيدا عن محتواها الخبري الذي يظل ثانويا، وبذلك ينبني الخطاب الحجاجي على مجموعة من الحجج تؤدي إلى التسليم بالنتائج، ومن الأمثلة التي قدماها في كتابهما "الحجاج في اللغة ":

-الطقس جميل فلنخرج إلى النزهة.

تكون الحجة الأولى ق1 هي: الطقس جميل، والحجة الثانية ق2 هي: فلنخرج إلى النزهة. والنتيجة الضمنية غير مصرح بها هي ق2 شريطة أن يكون التوصل إليها سهلا.

والحجاج بما يتضمنه من قوة حجاجية، يجعل المتكلم يوجه قوله وجهة حجاجية ما، وفكرة التوجيه L'orientation هذه تأخذ معناها من مقصدية المتكلم، وتظهر في أمرين:

"عدم انفكاك القصدية عن اللغة وتراتب القصدية "[142].

ويكون هذا التوجيه بإحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي لدى المتلقي، وفي تعلق وترابط الحجج ببعضها مجسدة بذلك سلطة وقوة الحجاج الهادف إلى التوجيه والإقناع.

---

[140] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[141]-Voir ,l'argumentation Dans la langue .op . Cit, p 11

[142] ينظر، اللسان والميزان، عبد الرحمن طه، ص259.

والحجاج عموما أن يقدم المتكلم قولا ق 1(أو مجموعة من الأقوال) موجهة إلى جعل المخاطب يقبل قولا آخر ق 1(أو مجموعة أقوال أخرى) سواء أكان ق 2 صريحا أو ضمنيا وهذا الحمل على قبول ق2 على أنه نتيجة للحجة ق1 يسمى عمل محاجة[143].

وفرق ديكروDucrot بين معنيين للفظ حجاج Argumentation، المعنى العادي والمعنى الفني

أو الاصطلاحي، والحجاج المقصود في التداولية المدمجة *هو بالمعنى الثاني.

أ- الحجاج بالمعنى العادي:

يعني في هذا الإطار "طريقة عرض الحجج وتقديمها ويستهدف التأثير في السامع فيكون بذلك الخطاب ناجحا وفعالا ".

كما يجب عدم إهمال السامع أو المتقبل المستهدف، لأن نجاح الخطاب يكمن في مدى مناسبة للسامع، ومدى قدرة التقنيات الحجاجية المستخدمة على إقناعه زيادة على استثمار الجانب النفسي من أجل تحقيق التأثير المرغوب فيه.

ب- الحجاج بالمعنى الفني:

صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان، ضمن المحتويات الدلالية، والخاصية الأساسية العلاقة الحجاجية أن تكون درج تي Scalaire أو قابلة للقياس بالدرجات.[144] والحجة في معناها السائر هي" إما تمش ذهني يقصد إثبات قضية أو دحضها وإما دليل يقدم لصالح

---

[143] ينظر، الحجاج في اللغة، المبخوت شكري، ص 360، 361.

* يرتبط الحجاج اللغوي بما يسميه ديكرو (التداولية المدمجة) التي تهتم أساسا بالمستويين اللغوي والبلاغي حيث تحلل في الأول دور الوحدات التركيبية من أدوات ربط وحذف وتأكيد وعطف، في حين تحلل في الثاني علاقة الدلالة بالمقام وعناصره البشرية وغيرها، وما بينهما من علاقات وأيضا آثار السياقات خارج النصية في كل ذلك، ينظر، الحجاج في اللغة، ص352.

[144] ينظر، التداولية والحجاج، الحباشة صابر، ص21.

أطروحة ما أو ضدها ".[145] وتختلف الحجة Argument عن البرهان Preuve، ولتقريب مفهوم الحجاج أكثر ينبغي مقارنة بمفهوم البرهنة Demonstration أو الاستدلال المنطقي (القياس) Syllogisme.[146]

فالخطاب البرهاني يقدم براهين وأدلة منطقية، ويقوم على استنتاجات منطقية مثل:

- كل اللغويين علماء.
- زيد لغوي.
- إذن زيد عالم.

فاستنتاج أن زيدا عالم حتمي وضروري لأسباب منطقية، أما الحجاج فهو احتمالي من مثل:

- انخفض ميزان الحرارة.
- إذن سيزل المطر.

فاستنتاج احتمال نزول المطر يقوم على معرفة العالم، وعلى معنى الشطر الأول من الجملة، وهو احتمالي.

ومنه تسعى الدراسة الحجاجية إلى تحليل التقنيات التي تسمح بإحداث ميل السامع إلى الأطروحات التي تعرضها على مسامعه بالإثبات والإقناع.

تقوم الحجة فيه على كل ما يمكن أن يكون موضوع إبداء رأي أو إصدار حكم، لصالح أطروحة ما أو ضدها.

وأما عن الفرق بين الاستدلال Raisonnement والحجاج، فإن هذا الأخير ينتمي إلى نظام الخطاب، مؤسس على بنية الأقوال اللغوية وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب، في حين ينتمي

---

[145] المصدر نفسه، ص68.

[146] من المنطق إلى الحجاج، حوار مع أبي بكر العزاوي، حاوره إسماعيلي علوي حافظ، مجلة فكر ونقد، www.fikrwanakd.aljabriabed.net (n61-08azzawi.htm)

الاستدلال إلى المنطق يقول ديكرو "إن البرهنة والحجاج بالنسبة إلي يتصلان بنظامين مختلفين تماما، نظام ما نسميه عادة المنطق ونظام ما نسميه الخطاب"[147].

ومجال الحجاج هو المحتمل والنسبي ذلك أنه ليس سوى "إجراء يسلكه فرد أو مجموعة لدفع المستمع إلى تبني موقف اعتمادا على إثباتات أو حجج"[148]

وقد تناول ديكرو مفاهيم الحجة، التي تمثل بناء استدلاليا أو عنصرا دلاليا يقدمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر قد يرد في شكل قول أو نص أو مشهد طبيعي أو سلوك غير لفظي كما تكون ظاهرة أو مضمرة بحسب السياق.

2- خصائص الحجاج التداولي:

تتميز الحجج اللغوية بعدة خصائص وسمات منها[149]:

2-1- إنها سياقية: باعتباره هو الذي يتدخل ويصير الدليل حجة، ويمنحه طبيعته الحجاجية، فالعبارة الواحدة قد تكون حجة أو نتيجة، أو قد تكون غير ذلك بحسب السياق.

2-2- إنها نسبية: لكل حجة قوة حجاجية، بمعنى أن الحجج متفاوتة فهناك الحجج القوية والحجج الضعيفة والحجج الأوهن والأضعف.

2-3- إنها قابلة للإبطال: الحجاج اللغوي نسبي ومرن بخلاف البرهان المنطقي والرياضي الذي هو مطلق وحتمي.

وبهذا تقوم النظرية الحجاجية على حسن اختيار الحجج وتوظيفها تبعا لأهداف المتكلم، فيختار الحجج الفعالة والملائمة ليضمن عملية التأثير في المتلقي، ذلك أن معيار نجاح هذه العملية هو إحداثها التأثير المنشود.

---

[147] ينظر الحباشة صابر، التداولية والحجاج، ص27.

[148] النظرية الحجاجية، طروس محمد، ص8.

[149] ينظر، اللغة والحجاج، العزاوي أبو بكر، ص19، 20

3- آليات الحجاج التداولي:

3-1- السلم الحجاجي: L'échelle argumentative

قدم ديكرو من خلال مؤلفه السلالم الحجاجية، ومؤلفه المشترك مع أنسكومبر الحجاج في اللغة مفهوما للسلم الحجاجي، باعتباره نظاما للحجج قائم على معيار التفاوت في درجات القوة والضعف، تخضع فيه الحجج لترتيب معين أطلق عليه السلم الحجاجي، يرمز له ب:

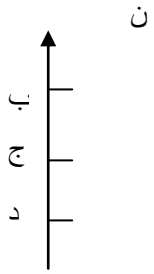

ويعرفه ديكرو بأنه "فئة حجاجية موجهة" [150] أي نظام لترتيب الحجج بحسب القوة والضعف، ما يجعلها تتصف بالنسبة والمرونة ذلك أن لها طابعا تدريجيا وسياقيا، بالإضافة إلى قابليتها للإبطال. ويتميز السلم الحجاجي بالسمات الآتية:[151]

أ- كل قول يرد في درجة ما من السلم يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة للنتيجة "ن".

ب- إذا كان القول "ب" يؤدي نتيجة "ن" فهذا يستلزم أن "ج" أو "د" الذي يعلوه درجة يؤدي إليها، والعكس غير صحيح.

تنطلق نظرية السلالم الحجاجية من التلازم في عمل المحاجة بين القول الحجة "ق"، ونتيجة "ن"، وهذه الأخيرة قد يصرح بها أو تبقى ضمنية وتتفاوت مجموعة الأقوال التي تمثل حججا تدعم نتيجة واحدة من حيث قوتها وهي بذلك لا تتساوى بل تترتب في درجات قوة وضعفاً، كما أنها تتطلب

[150] ينظر، المصدر السابق، ص20.

[151] ينظر، المصدر نفسه، ص21.

دوما وجود طرف آخر تقيم معه علاقات استلزام مثل: إذا كان الماء صقيعا فهو يستلزم منطقيا أنه بارد، ما دام موقعه في مراتب البرودة يجعله أقوى.[152]

وبناء على ما سبق تنبني نظرية السلالم الحجاجية على التدرج بين الأقوال والحجج في علاقاتها بالنتائج واستلزام بعضها لبعض، وهو بذلك فعل لغوي إنجازي تأثيري يعتمد تدافع الحجج وترتيبها حسب قوتها، إذ لا تثبت غالبا إلا الحجة التي تفرض ذاتها على أنها اقوى الحجج في السياق.

الأمر الذي يجعل السلم عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال تكون مزودة بعلاقة تراتبية تحكمها مجموعة من القوانين نذكر منها:

3-1-1- قوانين السلم الحجاجي:[153]

أ- قانون النفي: Loi de négation

ومفاده "إذا كان قول ما "أ" مستخدما من قبل متكلم ما ليخدم نتيجة معينة فإن نفيه أي "لاأ" سيكون حجة نتيجة مضادة أي إذا كان "أ" ينتمي إلى الفئة الحجاجية "ن" فإن "لاأ" ينتمي إلى "لا-ن" مثل:

-زيد مجتهد، لقد نجح في الامتحان.

-زيد ليس مجتهدا، إنه لم ينجح في الامتحان.

ب- قانون القلب: Loi d'inversion

يرتبط بقانون النفي، ويعد تكملة للقانون الأول، ومفاده "أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال المثبتة" أي إذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى في قوتها الحجاجية

[152] ينظر، الحجاج في اللغة، المبخوت شكري، ص363، 364.

[153] ينظر، اللغة والحجاج، العزاوي أبو بكر، ص22.

للدلالة على نتيجة معينة، فإن نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الحجة الأولى في التدليل على النتيجة المضادة، مثل:

- حصل زيد على الماجستير، وحتى الدكتوراه.
- لم يحصل زيد على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير.

ونمثل لهما بالسلمين الحجاجيين الآتيين:

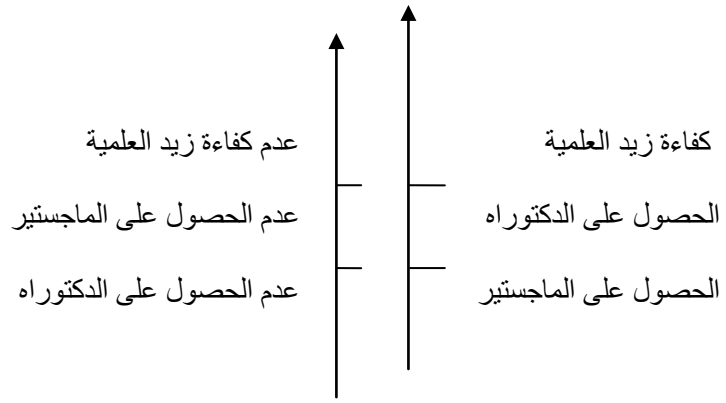

فحصول زيد على الدكتوراه يقتضي حصوله على الماجيستير أولا وهو دليل أقوى على كفاءته العلمية، في حين أن عدم حصوله على الماجستير يثبت عدم نيله للدكتوراه وهو أقوى حجة على عدم كفاءته العلمية.

ج- قانون الخفض: Loi d'abaissement

ينطلق من فكرة أن النفي اللغوي يكون مساويا للعبارة Moins que، أي عند استعمالنا لعبارة من مثل:

- الجو ليس باردا.
- لم يحضر كثير من الأصدقاء إلى الحفل.

نستبعد التأويلات التي ترى أن البرد قارس وشديد، أو أن الأصدقاء كلهم حضروا إلى الحفل ثم تؤول هذه الجمل كما يلي:

- إذا لم يكن الجو باردا فهو دافئ أو حار.
- لم يحضر إلا القليل من الأصدقاء إلى الحفل.

وينص على أن "القول إذا صدق في مراتب معينة من السُلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي يقع تحتها"[154].

بمعنى ان الحجج إذا كانت مرتبة من الضعف إلى القوة فإن نقيضها سيرتب من القوة إلى الضعف.

وهذا الخفض الناتج عن النفي لا يتموقع في السلم الحجاجي، ولا تندرج الأقوال الإثباتية والأقوال المنفية في نفس الفئة الحجاجية ولا في نفس السلم الحجاجي.

لذلك تتفاوت الحجج التي يتضمنها الخطاب من حيث قوتها الحجاجية، فهناك الحجج القوية، والحجج الضعيفة والأكثر قوة، والأكثر ضعفا.

ويرتبط هذا المفهوم بالسلم الحجاجي باعتبار أن القوة والوجهة تحددان مراتب الأقوال ودرجاتها في علاقتها الترتيبية.

وكل قول يشكل فعلا حجاجيا، تكون قيمته الحجاجية محددة بواسطة الاتجاه الحجاجي، الذي يكون صريحا أو مضمرا. بواسطة الروابط والعوامل الحجاجية التي تمثل الطريقة التي يتم بها توجيه الخطاب، أما إذا خلا منها فإنه يستنتج من الألفاظ والمفردات بالإضافة إلى السياق التداولي للخطاب ككل.

3-2- الروابط والعوامل الحجاجية:

إذا كانت اللغة ذات وظيفة حجاجية، فإنها تشتمل على مؤشرات لغوية خاصة، مهمتها القيام بعمليات حجاجية، يطلق عليها الروابط والعوامل الحجاجية، تقول في ذلك آن روبول "قد أدت أعمال ديكرو إلى شيوع الروابط التداولية أو الخطابية في علم الدلالة وفي التداولية أساسا"[155].

---

[154] ينظر، اللسان والميزان، عبد الرحمن طه، ص277.

[155] ينظر، التداولية اليوم، روبول آن، موشلار جاك، ص169.

الأمر الذي يسهم في توجيه عملية تأويل الخطابات وفهمها، ولتحديد مفهوم الروابط والعوامل الحجاجية، ننطلق من التساؤل الآتي:

– ما الذي يجعل قولا ما يقدم على أنه حجة نفرض هذه النتيجة أو غيرها؟

للإجابة على مثل هذا السؤال لا بد من البحث عن القواعد والمبادئ التي تحكم الربط عند المحاجة بين النتيجة وحجتها.

ميز ديكرو بين نوعين من المكونات اللغوية التي تحقق الوظيفة الحجاجية، أما النوع الأول يربط بين الأقوال مثل أدوات الاستئناف (الواو، الفاء، لكن، إذن...) ويطلق عليها الروابط الحجاجية.

أما النوع الثاني فهو ما يكون داخل القول الواحد من عناصر تدخل على الإسناد مثل الحصر والنفي أو مكونات معجمية تحيل في الغالب إحالة غير مباشرة مثل منذ الظرفية وتقريبا وعلى الأقل، ويسميها عوامل حجاجية.

وأما عن الفرق بين الروابط Les connecteurs والعوامل الحجاجية Les operateurs، فإن الروابط تربط بين قولين أو حجتين (بين حجة ونتيجة أو مجموعة حجج) أما العوامل "فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما من قبيل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا ما...إلا، وجل أدوات القصر"[156].

3-3- المبادئ الحجاجية:

لا يكفي وجود الروابط والعوامل الحجاجية لضمان سلامة الحجاج بل لا بد من توفر ما يعرف بالمبادئ الحجاجية وهي: مجموعة قواعد عامة تجعل حجاجا ما ممكنا، ولها خصائص منها:[157]

[156] ينظر، اللغة والحجاج، العزاوي أبو بكر، ص28، 29.

[157] ينظر، المصدر نفسه، ص 31، 32.

أ- تشتمل على مجموعة من المعتقدات والأفكار المشتركة بين الأفراد داخل مجموعة بشرية معينة، بحيث يسلم الكل بصدقها وصحتها (كونها تعد معيار نجاح أو فشل الفعل).

ب- العمومية: تصلح لعدد كبير من السياقات المختلفة والمتنوعة.

ج- التدرجية: تقيم علاقة بين محمولين تدرجيين أو بين سلمين حجاجيين.

د- النسبية: هناك إمكانية إبطال ورفض الحجاج باعتباره غير ملائم للسياق المقصود أو يتم إبطاله باعتماد مبدأ حجاجي آخر مناقض له.

مثل: أنا متعب، إذن أنا بحاجة إلى الراحة.

إن المبدأ الحجاجي الموظف في الجملة هو: بقدر تعب الإنسان، تكون حاجته إلى الراحة ، وما دام الحجاج خلقا لعلاقة بين خطابين لغويين فلا بد إذن من وجود تلازم بين القول والحجة، قد يصرح به أو يضمر، وإضماره في الخطابات الإبداعية أبلغ تأثيرا.

كما تؤدي القرائن النصية واللغوية دورا في تحديد دلالة القول، ووجهته الحجاجية هي التي تمثل الأساس الذي يقوم عليه الربط بين الأقوال على نحو آخر ضمن استراتيجية حجاجية ما[158].

ومع هذا كله يبقى مبنيا على الاحتمال، ذلك أن العلاقة بين النتائج والحجج تظل غير حتمية وغير ملزمة.

ومنه يمكن القول أن من خصائص الحجاج أنه يبقى مفتوحا دوما على القراءة والتأويل.

3-4- الاستعارة الحجاجية:

احتلت الاستعارة في الدراسات المعاصرة، مكان الصدارة، لما تقوم به من أدوار في خطاباتنا اليومية والفنية، وذلك لطبيعتها المرنة المقاربة بين بعديها المذكور أو المصرح به والمغيب أو المضمر، وتموقعها بين جماليات فن التشبيه في قربه، والمجاز في رمزيته وتجريده .

ما جعلها تضطلع بدور فعال منحها تلك المكانة، حتى أن بعض النقاد المعاصرين اعتبرها "الوجه البلاغي الذي نجسد به حياتنا".*

[158] ينظر، الحجاج في اللغة، المبخوت شكري، ص360.

ولما كانت للاستعارة هذا الوضع المرموق فإن دورها في التأثير الممارس على النصوص والخطابات، سيكون دورا فعالا وأكيدا، الأمر الذي يوسع مجالها ليكون كما يقول ريتشاردز "العالم الذي نصنعه كي نعيش فيه"[159]. والاستعارة الأدبية تتميز عن اليومية بأنها قائمة على الطابع القصدي، إذ إن بنيتها المشفرة تجذب المتلقي إليها ليحاول فهمها وتحليلها مع الأخذ في الاعتبار ثنائية كل من الأدوار الحجاجية التأثيرية التي تؤديها، والغايات الفنية التي تهدف إليها.

تدخل الاستعارة ضمن الوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلم بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق أهدافه الحجاجية، نظرا لارتباطها بمقاصد المتكلم والسياق التخاطبي التواصلي. وترتبط بمفهوم القوة الحجاجية، وبالسلم الحجاجي الذي يعد أهم عنصر يفسر آليات الاشتعال الحجاجي في اللغة، وبما أنه علاقة ترتيبية للحجج تترتب فيه بحسب درجة قوتها، فإن للقول الاستعاري قوة حجاجية عالية تجعله يرد في أعلى درجة.[160]

اهتم علماء البيان بالاستعارة، بوصفها مقوما فنيا وجماليا إقناعيا، منهم الجرجاني الذي عرفها بقوله "الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه، تريد أن تقول رأيت رجلا هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه فتدع ذلك وتقول رأيت أسدا، وضرب آخر تجعل للشيء الشيء له"[161].

وأما السكاكي فقد عبر عنها بقوله: "هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه "[162].

نفهم من ذلك أنها تقوم على النقل المجازي بين طرفيها (المستعار منه والمستعار له) باعتبار قرينة المشابهة، تجعل المتلقي يقتنع بها بعد أن يدرك حقيقتها.

---

* أصدر كل من جورج لايكوف ومارك جونسون مؤلفهما (الاستعارات التي نحيا بها).

[159] فضل صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 164، أغسطس، 1992م، ص41.

[160] العزاوي أبوبكر، اللغة والحجاج، ص101، 102.

[161] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، المصدر السابق، ص53.

[162] ينظر، مفتاح العلوم، السكاكي، ص477.

وتجسد بذلك الاستعارة مثالا جوهريا لاستعمال اللغة، إذ يدرك بها عادة، معنى مقصودا يقع وراء البنية المنجزة للملفوظ[163]، أي المعنى غير المباشر الذي يسعى المتكلم لإيصاله، ومن ثم تكون وسيلة

رئيسية ومهمة من الوسائل المستخدمة في إنجاز الأفعال غير المباشرة*.

وتعرف الأفعال الإنجازية غير المباشرة بأنها "الأفعال ذات المعاني الضمنية التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكن للسياق دخلا في تحديدها والتوجيه إليها، وهي تشتمل على معان عرفية وحوارية"[164].

وهي عموما، استراتيجية لغوية تلميحية يعبر بها المتكلم عن القصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفي، لينجز بها أكثر مما يقوله، إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه، فيعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ، مستثمرا في ذلك عناصر السياق[165].

وبذلك تدخل الاستعارة ضمن الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية، وهذه الأخيرة هي النوع الأكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التخاطبية والتواصلية، نجدها في اللغة اليومية وفي الكتابات الأدبية والسياسية والصحفية، والعلمية، بخلاف الاستعارة غير الحجاجية، التي لا تخدم سوى الجانب الفني الجمالي*.

3-4-1- خصائص الاستعارة الحجاجية:

---

[163] ينظر، في البراغماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، الصراف علي محمد حججي، مكتبة الآداب، القاهرة،ط1، 2010م، ص150.

* لاحظ سورل أن الأفعال الكلامية ما يتم بطريقة غير مباشرة Les actes de language indirects تشتمل على قوتين إنجازيتين ويمثل لذلك بالاستفهام الذي حقيقته الالتماس: هل تستطيع أن تناولي الملح؟
ينظر، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، نحلة محمود أحمد، ص82.

[164] ينظر، التداولية عند العلماء العرب، صحراوي مسعود، ص35.

[165] ينظر، استراتيجيات الخطاب، الشهري عبد الهادي بن ظافر، ص370.

* قسم الجرجاني الاستعارة إلى مفيدة (الحجاجية)، وغير مفيدة، ينظر، أسرار البلاغة، الجرجاني عبد القاهر، تح محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط3، 1991م، ص35-42.

يتميز التركيب الاستعاري الحجاجي بجملة من الخصائص منها:[166]

– أنها تؤدي دورا مماثلا لبعض الروابط الحجاجية مثل "حتى" فالدليل الذي يرد عادة بعد هذا الرابط يكون أقوى حجاجيا، وأعلى سلميا من غيره، وباعتبار القول الاستعاري الأقوى لصالح نتيجة ما، فإن ذلك يخول له أن يرد في أعلى درجات السلم الحجاجي، ما يجعله فوق الإبطال.

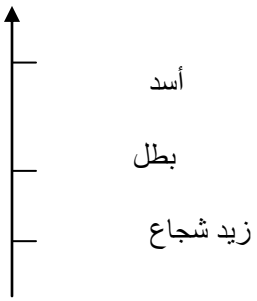

– لا يمكن أن يرد دليل مضاد بعده يخدم النتيجة المعاكسة، بخلاف الأقوال العادية التي ترد في سياقات الإبطال أو التعارض الحجاجي بواسطة أدوات مثل: لكن، بل، من مثل:

أ– الجو جميل لكني متعب.

ب– 1– زيد قوي لكنه متهور.

2–* زيد أسد لكنه متهور.

فالقول (أ) يخدم النتيجة المضادة لن نخرج للترهة وهو أقوى من الدليل قبله، ما يمكنه من توجيه القول برمته بناء على هذه القوة، والأمر ذاته في القول (ب. 1) في حين تبدو الجملة (ب. 2) لاحنة، إذ لا يقبل القول الاستعاري الإبطال.

وما يمكن أن نخلص إليه هو ما قاله طه عبد الرحمن " تتوسل الحجة بالصور البيانية من تشبيه واستعارة، وكناية وغيرها، وقد لا تكتفي الحجة بذلك، بل قد تكون هي نفسها صورة بيانية(...) وإذا صح أن الحجة تعتمد أساليب البيان، صح معه أيضا أنها خطاب أوسع من أن تحيط به معايير الوضوح والظهور تأخذ بأسباب الاشتباه والالتباس والخفاء، ذلك أن هذه الأسباب تمكن الحجة

---

[166] ينظر، اللغة والحجاج، المصدر السابق، ص103، 104.

* هذه العلامة تعني عدم المقبولية الحجاجية.

من اكتساب مرونة يدعو إليها التكيف المستمر مع تقلب سياقات النص، ومن اكتساب خصوبة يستدعيها التلاؤم مع تجدد مقتضيات مقام الكلام"[167].

نفهم من كلامه أن الاستعارات وغيرها من أضرب البيان تشكل حجة باعتبار الطاقة الإقناعية التي تحملها، تحرك مشاعر المخَاطب ويكون تأثيرها أقوى.

4-4- حجاجية الفعل الكلامي:

إن نظرية الأفعال الكلامية التي وضع أصولها أوستين Austin، وأقام بناءها سورل Searle، ووسع مجالها غرايس Grice، وفان إيمرن Van Eemeren، وخروتندورست R. Grootendorst، عرفت تطورا، مكن من إدراج الحجاج في جملة الأفعال الكلامية.

فالحجاج عند فان إيمرن وخروتندورست عبارة عن "فعل تكلمي (إنجازي) لغوي مركب"[168].

أي أن الحجة تمثل فعلا إنجازيا مركبا من أفعال فرعية وموجهة، إما إلى إثبات أو إبطال دعوى معينة.

وعملا بمبدأ سورل في تحديد شروط أداء الفعل الكلامي، استخلص هذان اللسانيان شروط أداء فعل الحجاج، وقسماها إلى شروط الحجة المثبتة، وشروط الحجة المبطلة.

وتتلخص هذه الشروط في:[169]

1- شروط الحجة المثبتة:

أ- شروط المحتوى القضوي:

على المتكلم أن يأتي بمجموعة أحكام جازمة تتضمن قضية مخصوصة.

---

[167] ينظر، التواصل والحجاج، سلسلة الدروس الافتتاحية، عبد الرحمن طه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أغادير، 1993م، ص17.

[168] ينظر، اللسان والميزان، عبد الرحمن طه، ص 262.

[169] ينظر، المصدر نفسه، ص 262، 263.

ب- الشرط الجوهري:

أن يقدم أحكاما وأدلة تثبت الدعوى قصد إقناع المستمع بها.

ج- شرط الصدق:

ينبغي للمتكلم اعتقاد صدق الدعوى التي جاء بها لإثباتها.

د- الشرط التمهيدي:

يجب أن يعتقد المتكلم أن المستمع لا يسلم بالدعوى ولكنه يسلم بالقضايا التي جاء بها لإثباتها.

2- شروط الحجة المبطلة:

أ- شرط المحتوى القضوي:

على المتكلم أن يأتي بمجموعة أحكام قطعية تخص قضية معينة.

ب- الشرط الجوهري:

تقديم مجموعة أحكام وأدلة تبطل الدعوى، أي أنه يسعى إلى إقناع المخاطب ببطلان الدعوى.

ج- شرط الصدق:

أن يعتقد المتكلم كذب الدعوى، وصدق القضايا التي جاء بها لإبطالها.

د- الشرط التمهيدي:

أن يعتقد المتكلم أن المستمع يُسلم بالدعوى وبالقضايا التي جاء بها لإبطالها.

ثم تتبعا دور كل صنف من الأفعال الكلامية، التي صنفها سورل ووجدا أن بعضها ذو دور حجاجي، أما البعض الآخر فليس له ذلك الدور.

وبما أن الحجة فعل يتعلق بحقيقة خطابية، بخلاف الفعل الكلامي المختص بالجملة أو الملفوظ، فإن فان إيمرن وخروتندورست حاولا إجراء تعديلات على قواعد غرايس التخاطبية، فأبدلا، مكان مبدأ التعاون، مبدأ أطلقا عليه اسم "مبدأ التواصل" ومحتواه أن على المتكلم أن يكون واضحا وصادقا وناجحا ومراعيا المناسبة في فعله اللغوي.

ثم استنتجا أن الأفعال الكلامية تسهم بأدوار مختلفة في الحجاج حسب الاستعمال، فيستعمل المرسل أغلب أصناف الفعل التقريري، لتدعيم وتأكيد وجهة نظره، أو للتراجع عند اقتناعه بأنها لم تعد صالحة، أو للتنازل عن دعواه أو لتأسيس نتيجة.[170]

في ضوء ما سبق، يتضح أن نظرية الفعل الكلامي من أهم الأبحاث، بل من أهم محاور التداولية، باعتبارها أعطت دورا ومكانة للغة وأفعالها الكلامية في صنع ونقل المعاني من مستوى التلقي إلى مستويات الفعل والتجسيد، وتكتسي طابعا خاصا حينما ترمي إلى تحقيق أبعاد حجاجية تهدف إلى الإبانة، بناء على كفاءة المتخاطبين طالما أن المخاطب يصبو إلى إحداث التأثير تأسيسا لبناء حجاجي في كلامه.

وبذلك ليس الحجاج سوى عمليات ترمي إلى تحقيق الاستمالة Adherence، لما يعرض على المتلقي من دعوى، والتأثير العملي في سلوكه، وبالجملة الإقناع.

ثم إن نجاعة هذا الفعل إنما تكمن في مدى قدرته على اقتحام عالم المتلقي وتغييره، أيا كان نوع الخطاب وهذا ما سيحاول الفصل الموالي الوقوف عنده، بالبحث في الآليات الحجاجية التي وظفها الشاعر أحمد مطر* في خطابه.

---

[170] ينظر، استراتيجيات الخطاب، الشهري عبد الهادي بن ظافر، ص482.

* أحمد مطر شاعر عراقي ولد سنة 1954 ، في قرية التنومة، دخل المعترك السياسي من خلال قصائد تضمنت موقف المواطن من السلطة، الأمر الذي اضطره في النهاية إلى التوجه إلى الكويت، هربا من السلطة. حيث عمل في جريدة القبس التي مثلت انطلاقته الشعرية، وسجلت لافتاته دون خوف.

وفي رحاب القبس عمل مع الفنان ناجي العلي الذي قاسمه الموقف ذاته، وقد كان مطر يبدأ الجريدة بلافتته في الصفحة الأولى، وكان ناجي العلي يختمها بلوحته الكاريكاتورية. أثار هذا حفيظة مختلف السلطات العربية، الأمر الذي أدى إلى نفيهما، ثم استقر بهما الحال في لندن، لكن سرعان ما فقد مطر رفيق دربه ناجي العلي الذي اغتيل، ليظل وحده يصارع مرارة المنفى منذ 1986 مرسخا حروف وصيته في كل لافتة يرفعها من أهم إصداراته ديوان لافتات مرقما حسب الإصدارات، ينظر، الموسوعة العالمية للشعر العربيhttp://ar.wikipedia.org .

الفصل الثالث

بنية الحجاج في الديوان

أولا– البعد الحجاجي للخطاب الشعري

1- الخطاب الشعري والحجاج

2- استراتيجية التأثير

3- الأفعال الكلامية في عالم الخطاب

ثانيا– آليات الإقناع في الخطاب الشعري

1- التقنيات اللغوية

2- السلم الحجاجي

3- حجاجية الاستعارة

تمهيد:

إذا كانت التداولية تهتم بدراسة اللغة في الاستعمال، ثم مدى تأثيره على المتلقي، فإن أغلب الدارسين والمشتغلين بتحليل النصوص والخطابات يشيرون إلى الطبيعة التداولية للخطب الحجاجي، طالما أنه يسعى إلى التأثيرات على آراء وسلوكات المخاطَب، ومن ثم دفعه إلى القيام بعمل ما. الأمر الذي يؤكد على حتمية دراسة الحجاج من الناحية التداولية، ذلك أنه يخضع لقواعد وشروط القبول والتلقي، تبرز فيه القصدية والتأثير.

وتتضح صلة الحجاج بالتداولية، حينما استعان هذا الأخير ببعض العناصر اللغوية داخل الأقوال، بغض النظر عن الخطاب الذي يدرسه سواء أكان صحفيا أو سياسيا أو فلسفيا، وعملا بهذا المبدأ ركز ديكرو Ducrot جلّ اهتمامه لدراسة هذه الأدوات، التي تسمح في كل مرة بإنشاء علاقات حجابية جديدة، كما تقوم بالربط بين متغيرات حجاجية، بين الحجة والنتيجة، أو بين مجموعة الحجج"[171].

تقتضي دراسة الخطاب إذن الاهتمام بمستويين:

- مستوى خارجي يتمثل في النص ككل باعتباره كتلة حجاجية.
- مستوى داخلي يتجسد فيه الحجاج في الروابط، والاستعارات والأفعال الكلامية.

وهذا ما ستحاول هذه الدراسة الوقوف عليه في الخطاب الشعري، مادام مثل غيره من أنواع الخطابات، خاضعا لشروط وعوامل إنتاجه، يهدف إلى إقناع الآخرين وحملهم على اتخاذ قرارات حسب رغبة للمحاجج (الشاعر)، وفي النهاية إلزام المستمع ببعض الأفعال.

أولا– البعد الحجاجي للخطاب الشعري:

[171] ينظر، حول مفهوم الحجاج في الفلسفة، رويض محمد، مجلة فكر ونقد، www.fikrwanakd.aljabriabed.net (n26 - 04 rueyd.htm)

1- الخطاب الشعري والحجاج:

بما أن الحجاج نابع من اللغة، موجود في كل الخطابات على حد تعبير ديكرو Ducrot ، فإن الخطاب الأدبي أيا كان جنسه شعرا أو نثرا يحتوي في بنيته شيئا من الحجاج، بما يحمله من قيم تداولية، "تتوفر في كل لحظة من لحظات اللغة"[172] .

وهذا الطرح نجد له حضورا في إحدى تنويرات حازم القرطاجي في معرض حديثه عن الشعر والخطابة، بوصفهما يشتركان "في إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحل القبول لتتأثر بمقتضاه (...) فلذلك ساغ للشاعر أن يخطب لكن في الأقل من كلامه وللخطيب أن يشعر لكن في الأقل من كلامه"[173].

نفهم من ذلك أن الخطاب الشعري التخيلي قد يكون قولا حجاجيا ذا أبعاد تأثيرية ناهيك عن الجوانب الأدبية الفنية، وحينما تجتمع أساليب الإقناع والامتاع [174] يزداد التأثير والإقناع، ما يمنح للخطاب قوة وفاعلية تجعله أكثر تأثيرا في المتلقي، وهذا الأخير أكثر قبولا وتصديقا للخطاب.

وتتحقق هذه الفاعلية حينما يتمكن الشاعر من تغيير قناعات المتلقي وتحريك همته ودفعه إلى القيام بفعل ما، فالشعر وإن كان خطابا إبداعيا فنيا فإنه "من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكره إليها ما قصد تكريهه، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه بما يتضمن من حسن تخييل له ومحاكات بمجموعة ذلك، وكل ذلك يتأكد بما يقترن به من إغراب، فإنّ الاستغراب والتعجب حركة للنفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوي انفعالها وتأثرها" [175]، إذن يحقق المخاطب غاياته الإقناعية، حينما يختار الحجج المناسبة التي تلقى صدى لدى المتلقي سواء كانت في قالب منطقي أو جمالي فني مادامت في النهاية ترمي إلى إحداث التأثير بواسطة الأفعال الكلامية.

---

[172] التفكير اللساني في الحضارة العربية، المسدي عبد السلام، ص145.

[173] ينظر، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، القرطاجني حازم، ص34.

[174] ينظر، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، عبد الرحمن طه، ص38.

[175] منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص71.

فالشعر فعل قاصد، وتظهر قصديته في حمل المتلقي على فعل سلوك ما، وتحريك نفسه والتأثير فيه للقيام بعمل ما وهذا لا يتأتى إلا بما يتضمنه من قوة التخييل من صور بيانية، وقوة تأليف الحجج وصدقها، أي حينما يزاوج الشاعر بين أساليب الإقناع والامتاع، فيغدو خطابه أكثر إقناعا بحسب ميولات المتلقين ومقاماتهم.

يمكن الانطلاق من أن النص الشعري حجاجي بالدرجة الأولى، وهذا نظرا لكونه خطابا متلفظا به يفترض متكلما ومستمعا، تتوافر فيه قصدية التأثير بوجه من الوجوه، لإيصال رسالة ترمي إلى تعديل موقف المتلقي أو تغييره في إطار وظيفة الحجاج الذي ينشده المتكلم الأمر الذي يدفعنا إلى طرح جملة من الأسئلة لعلّ أهمها:

كيف يبني الخطاب الشعري شكله الحجاجي؟، وكيف يمكن أن يكون حجاجيا بالدرجة الأولى؟.

هل نلمس المقاربة الحجاجية في اللغة أم في طبيعة القائل والمقول؟

يستدعي الحجاج عملية فرض مجموعة من المعطيات والنتائج الموجهة حواريا، لا تترك للمتلقي أي خيار سوى الإذعان، بل قد يصل إلى الاقتناع بفعل القراءة الواعية أو التلقي.

ويضع من أولوياته الإجابة على عدة أسئلة حجاجية مهمة مثل: من يتكلم؟ وإلى من يتكلم؟ وماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ وكيف نتكلم بشيء ونريد قول شيء آخر؟.

والوظيفةالحجاجية باعتبارها إحدى أهم الوظائف اللسانية في العملية التواصلية، نجد لها حضورا في خطاب شاعرنا أحمد مطر، يسعى من خلالها إلى الدفاع عن حقوق المواطن العربي وفي مقدمتها، حرية الفكر والتعبير واستقلال الأوطان والكرامة، أدل ته الأولى الشعر وحججه الواقع المعيش والتاريخ المنصرم وموقف الآخر، أما النتائج الحتمية المترتبة عنها، فتتمثل في تجديد العقل العربي ودخول الإنسان في عصر الحرية التي تكفل له حقوقه الكاملة، حينها تتجلّى إيحاءات عناوين بعض القصائد (التكفير والثورة)، (هذه الأرض لنا)، (سلاح بارد)، (الرماد والعواصف)، (حوار على باب المنفى).

لقد جسدت العملية الحجاجية الوظيفة الإقناعية للخطاب من خلال تراتبية الحجج، انطلاقا من مرجعيات ثقافية وفكرية متنوعة اجتماعية وتاريخية، أسهمت في تحقيق الملاءمة والانسجام بين بنية الخطاب والواقع الراهن، ما يدفعنا إلى الحديث عن الحجج في الديوان (لافتات2 1987).

2- استراتيجية التأثير:

يقتضي التواصل وجود طرفين هما المتكلم (المخاطِب) والمتلقي (المخاطَب)، يرمي أحدهما إلى تحقيق التأثير في الآخر، تبرز فيه الأدوات والآليات التي ينتقيها أحدهما ويوجهها إلى الآخر الذي يؤولها. قد تظهر بشكل واضح ومباشر، وقد لا تظهر، وعندها تكون ثاوية خلف معطيات سياقية، وافتراضات مسبقة وتلميحات يدركها المخاطِب أو يفترض وجودها فيبني كلامه عليها، ويصل إليها المتلقي بمعونة السياق والقرائن، ولتحقيق ذلك يتبنى المخاطِب طرقا ومبادئا معينة، تنعت بالاستراتيجيات، تجسدها كفاءته اللغوية.

يولي المخاطِب خطابه اهتماما بالغا ذلك أنه يرى فيه "الأداة الأقوى لإقناع حشود الجماهير والترويج لأفكاره والتحفيز لمشاريعه واكسابها المصداقية"[176].

فيجند لذلك كافة التقنيات والآليات اللغوية لإقناع الآخر وجعله يفهم الرسالة، وبالتالي تغيير موقفه من الأشياء، ثم دفعه إلى اتخاذ رد فعل من الواقع كما هو شأن الشاعر أحمد مطر.

ولتحقيق الفاعلية التأثيرية الإقناعية للغة يستعين بجملة من الاستراتيجيات تتنوع بين الصريح والضمني.

2-1- مبادئ التخاطب:

التزام المخاطب ببعض القوانين التي تجعل خطابة ممكننا وفعالا فمبادئ التخاطب الأربعة التي صاغها غرايس Grice، وطورها ديكرو Ducrot ونعتها بقوانين الخطاب، تسهم في عملية التخاطب، وتعطي للكلام بعدا تفاعليا طالما أنها تمنح للمتلقي فرصة لتأويل الخطاب لتصل به إلى

[176] ترجمة الوظيفةالحجاجية في الخطاب السياسي من منظور الاتجاه السوسيولساني، بن دحمية كريمة، إشراف فرقاني جازية، جامعة وهران ، رسالة ماجستير في الترجمة، 2006م،2007م، ص105.

تحديد المقاصد التي يرمي إليها المتكلم، تتيح له قول ما يريد دون أن يفصح بذلك، والمستمع يدرك ذلك بالاستناد إلى سياق الخطاب وما يتيحه من قدرات استنتاجيه، وتتمثل هذه المبادئ في:

أ – مبدأ الكم :

يتمثل في "إعطاء المخاطب للمتلقي القدر اللازم من المعلومات ليتحقق الخطاب"[177]، يهدف هذا المبدأ إلى أن يجعل المتكلم إسهامه في الخطاب بالقدر المطلوب حسب ما تمليه الحاجة، فلا يقدم معلومات أكثر مما يلزم، وفي المقابل ذلك يستفيد المتلقي ويثري معلوماته .

والخطاب المفيد هو ما يترتب عنه نتائج يستفيد منها المتلقي، وهذا ما أراد الشاعر الخوض فيه (الواقع الراهن العربي)، فالمتلقي يستفيد من الأخبار المدعومة بالحجج التي تجيب عن كافة تساؤلاته، وتحقق أفق انتظاراته خاصة أنه يرغب في معرفة هؤلاء الحكام الذين يتحدّث عنهم المخاطب ويحملهم مسؤولية تدهور أوضاع الشّعوب وتفاقمها، ويمكننا ملاحظة ذلك من خلال قصيدة مكسب شعبي حين قال:[178]

آبَارُنَا الشَّهِيدَهْ

تَنْزِفُ نارًا ودَمًا

للأمَمِ البَعِيدَة

ونَحْنُ في جِوارِهاَ

نُطعِم جُوعَ نارِهَا

لكنَّناَ نَجُوع

لقد رغب الشاعر في توضيح المأساة التي تعيشها الشعوب العربية مأساتهم في حكامهم، فبالرغم من غنى تلك البلدان إلا أنها تعاني الفقر والحرمان وفوق هذا تشرط أن تبقى خانعة وخاضعة لا تطالب بحقوقها وترضى بما يصيبها، والأدهى والأمر أن هؤلاء الحكام لا قرار لهم ولا

---

[177] ينظر، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، حمو الحاج ذهبية، ص173.

[178] ينظر، لافتات 2، الديوان، مطر أحمد، يوليو، تموز، لندن، ط1، 1987م، ص 18.

مواقف، هم سادة على شعوبهم المستضعفة لكنهم خدم لغيرهم "أمريكا" يستعطفونها ويخدمونها على حساب شعوبهم الفقيرة التي تتجرع الألم والحرمان.

ب– مبدأ الصدق:

وينص هذا المبدأ على أن يكون المخاطب "صادقا فيما يذهب إليه، أي يتجنب الكذب، مقرا بالمعلومات التي يتلفظ بها" [179]، بمعنى أن يجعل مساهمته في الخطاب لائقة، وأن يقدم الحجج المقنعة والكافية، وأن لا يتحدث عما لا يملك عنه حججا وأدلة كافية ومقنعة، وصدق الخطابات يتمثل في قول الحقيقة كما يعتقدها المخاطب في إدراكه للواقع.

وتؤدي الاستعارات هذا الدور إذ يقدمها المخاطِب للتدليل على صدق نواياه، وهذا ما أشار إليه كل من جورج لايكوف George lakoff ومارك جونسون Mark Johnson، حين قدما تصورا جديدا للاستعارة يجعلها مقبولة لدى المتلقي وأكثر تأثيرا وإقناعا مفاده أن قبول الاستعارة يتم باعتبار اقتضاءاتها الصادقة، وهذا الصدق لا يكون، إلا باعتبار الواقع الذي تحدده الاستعارة[180] ويتولى السياق الكشف عن ميزة الصدق.

ويبرز هذا بشكل جلي في خطاب الشاعر أحمد مطر في قصيدة القضية:[181]

زَعَمُـــــــوا أنَّ لنَـــــا

أرْضًا، وعرْضًا، وحَمِيَّ

وسُيوفًا لا تبُارِيهَـــا المَنِيَّه

زَعَمُـــوا...

فـــالأرضُ زَالَـــتْ

ودِمَاءُ العِـــرْضِ سَالَـــتْ

---

[179] لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، حمو الحاج ذهبية، ص173.

[180] ينظر، الاستعارات التي نحيا بها، لايكوف جورج وجونسون مارك، تر عبد الحميد جحفة، دار توبقال للنشر، ط1، 1996م، ص160.

[181] ديوان لافتات2، ص25.

وَوُلاَّةُ الأمْرِ لا أمْرَ لَهُـــمْ

خَارجَ نَصّ المَسْرحيَّة

كلُّهم راعٍ وَمسْؤُولٌ

عنِ التفْرِيطِ في حقِّ الرَّعيهْ!

وعن الإرهاَبِ والكَـــبْتِ

وتقطيعِ أيادِي النَّـــــاسِ

مـــنْ أجْـــلِ القَضِيَّهْ

لقد عبر الشاعر بصدق عن مأساة الشعوب العربية وكرامتها المهانة الضائعة فشبه كل ذلك بالمسرحية التي يشاهدها الجميع دون أن يحركوا ساكنا، يتضح صدق هذا الخطاب في كلمة مسرحية، التي دلت على حجم الأسى الذي تعانيه الشعوب. تتوزع فيها الأدوار على ولاة الأمر، تتحدد بحجم التنازلات المقدمة، والمؤامرات على شعوب مستضعفة ذنبها أن بعض حكامها دمى تتحرك بمنطق المساومة، يتفننون في لعب أدوار صممت لهم. بيّنت حجم التنازلات التي قدموها ليخسروا في النهاية أوطانهم وكرامتهم.

لقد حددت هذه الاستعارة الواقع العربي بصدق وأبرزت حجم المأساة وعمقها، يوم فرط العرب في الأرض والعرض.

ج ــ مبدأ العلاقة:

يفترض هذا المبدأ " أن يكون الخطاب مناسبا للمقام" [182]، أي أن يجعل المخاطِب كلامه ملائما للمقام والواقع، يساعد المتلقي على تفادي الغموض وسوء الفهم، ويمكن توضيح ذلك من خلال قصيدة "شؤون داخلية"، حين وصف حال الأوطان العربية التي مزقت بعضها الفتن والقرارات الجائرة، ووحدها الظروف والمصير المشترك، وأثقل كاهلها تكالب الأعداء وتربصهم بها.

[182] ينظر، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص173 .

يقول في ذلك:[183]

وَطَــنِي ثـــَــوبٌ مُــرقَّع

كلُّ جزءٍ فيه مصنوعٌ بِمَصْنَع

وعَلَى الثَوبِ نقوشٌ دَمَويَّة

فرَّقتْ أشْكَالُهاَ الأهْـــــوَاء

لكنْ

وحَّدتْ مَا بيْنَهاَ نَفْسُ الهَويَّة

عفَّةٌ واسِــعــــةٌ تَشْقـــَــــى

وعــــهْــــــرٌ يتمـــتَّـــــعْ

فكلمة ثوب مرقع تدل على الوطن المشتت والمفرق شيعا وأهواء ما يوحي بالضعف والهوان. لقد حشد الشاعر الكثير من العبارات الصريحة، والإيحائية، بهدف إقامة علاقة تواصلية مع المتلقي في ظل الهم الواحد، والشكوى والتطلع إلى الأفضل، في ظل هرولة بعض الساسة نحو حضيرة التطبيع والتنازل. فالموقف الذي يعرضه يمكن تصوره ومعايشة مراراته "فلسطين، الجولان..." يرمي به إلى تحريك الآخرين لمشاركته الموقف الفكري والسياسي، بل لتعبئتهم.

د – مبدأ الكيف:

وينص على أن يكون "المخاطب واضحا متجن با اللبس والغموض، متحليا بالإفصاح والإيضاح"[184]

بمعنى أن يكون كلامه واضحا لا لبس فيه، معتمدا كافة الحجج التي تسهم في توضيح المعنى وتقريبه إلى المتلقي، فلا يذكر إلا ما كان مؤمنا بصدقه، ومطابقا للواقع.

---

[183] الديوان، ص58 .

[184] ينظر، المرجع السابق، ص 173

اتجه الشاعر إلى نوع من الترتيب بكيفية تفصح عما يريده، فالانهيار العربي والتنازل مظهر عام، اتخذه الشاعر مقدمات وصولا إلى الموضوع الذي تتضح بعض ملامحه وتستقر في النهاية في شكل نتيجة منطقية لهذه الانهزامية "التنازل المفضي إلى الهوان"، وانقلبت الأوضاع فإن كان بالأمس تحركهم النخوة والعزة والكبرياء، فإن ما هم عليه اليوم من هوان وذل عائد إلى ضعفهم وتخاذلهم ولعل ما يمثل كل ذلك قصيدة القضية، يقول:[185]

والقضيَّة

ساعَة الميلادِ، كانتْ بندقيَّة

ثم صارتْ وتدًا في خيمةٍ

أغرقـــَـــهُ الـــزَّيـــــتُ

فأضحـــَى غُصـــْنَ زيتـــونٍ

... وأمْسَى مزْهرِيـــَّة

تُنْعشُ المائـــــدةَ الخضْـــرَاء

صبـــحـــًـــا وعشيَّـــــهْ

في القصُـــــورِ الملكيَّـــــهْ !

* * *

ويقولـــــُون لِي: اضحَكْ

حسَنـــًا

ها إنَّني أضْحكٌ منْ الشرَّ البَليَّه!

[185] الديوان، ص 25.

2-2- البعد التلميحي للخطاب:

تعد متضمنات القول *إحدى الاستراتيجيات المتبعة في الخطاب، قصد إخفاء المعنى الحقيقي تحت عبارات تفهم من سياق الكلام أو بحسب الاتفاق بين المتخاطبين، ويلجأ المخاطِب إلى هذه الإستراتيجية بهدف توجيه المتلقي إلى التفكير في شيء غير مصرح به، عليه إدراكه، ومثل هذه المظاهر تنعت بالافتراضات المسبقة présuppositions ، والأقوال المتضررة sous – entendu تشكل جل المعطيات التي يمكن أن يحملها الكلام، ويتولى السياق إبرازها.

لجأ المخاطب في كثير من الأحيان إلى استخدام استراتيجية التضمين بهدف تمرير خطابه إلى المتلقي لبلوغ غايات منشودة، منها تحسيسه بالوضع الذي يمر به، وكذا الدفع به إلى التغير.

نلاحظ أن لمثل هذه الاستراتيجيات دورا بارزا وفعالا في تحقيق الفاعلية الحجاجية وتحريك همة المتلقي ودفعه إلى محاولة اتخاذ موقف فاعل.

---

*وتشمل: أ- الافتراضات المسبقة présuppositions "ذات طبيعة لسانية، يتم إدراكها بواسطة العلامات اللغوية التي يتضمنها القول"، ويصل المستمع إليها بعد تحويله الكلام إلى استفهام ونفي مثل:

1- انقطع زيد عن التدخين

بتحويله إلى الاستفهام يعطينا:

2- هل انقطع زيد عن التدخين

ثم نفيه: 3- لم ينقطع زيد عن التدخين

هذه الأقوال تظهر لنا أن زيدا كان يدخن

ب- القول المضمر sous – entendu، تعرفه أركيوني بأنه "كل المعلومات التي يمكن للكلام أن يحتويها و لكن تحقيقها في الواقع رهن خصوصيات السياق". مثل: السماء تمطر، قد يعتقد المتلقي أن المتكلم يدعوه إلى:

البقاء في بيته، أو الإسراع إلى عمله حتى لا يفوته موعد الحافلة، أو الانتظار والتريث حتى يتوقف المطر.

ينظر، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، بلخير عمر، ص113-118 .

فالخطاب الشعري عبارة عن مجموعة من الأقوال ذات الأبعاد التلميحية تظهر في شكل افتراضات مسبقة وأقوال مضمرة، وسمحت لنا قراءتنا لنصوص المدونة من اختيار بعض القصائد التي تظهر فيها هذه الاستراتيجيات.

ارتبطت هذه النصوص بقضايا سياس تي تعكس التوجه الإيديولوجي للشاعر أحمد مطر، المعروف بالتزامه بالدفاع عن قضايا الوطن وثور ته على الأنظمة الحاكمة في بعض البلدان المعروفة بفساد أنظمتها وحكامها. إذ نعثر في قصيدة "صندوق العجائب" على استعمالات خاصة لبعض الرموز التي تشير إلى طبيعة الحاكم المستبد المستلَب الذي لا قرار له، يقول:[186]

فـــــي صِغَرِي

فتَحْتُ صندوقَ اللُّعبْ

أخرجتُ كرسيًا موشَى بالذَّهبْ

قامتْ عليهِ دُميَةٌ منَ الخشبْ

في يدهَا سيْفُ قَصبْ

خفَّضتُ رأْس َدميتِي

رفعتُ رأس َدميتِي

خَلعْتهَا

نَصَّبتُهاَ

خلَعتُهاَ ... نصَّبتُهاَ

حتىَّ شعرتُ بالتَّعبْ

فما اشتكتْ منْ اختلافِ رغبتِي

ولا أحسَّتْ بالغضبْ

ومثلُهَا الكرسيُّ تحتَ راحتِي

[186] الديوان، ص03

مزوقٌ بالمَجْدِ ... وهوَ مُسْتلبْ

فإنْ نصَّبتَهُ انْتَصَبْ

وإنْ قَلبتَهُ انْقَلَبْ

فالدمى رمز للحكام الذين تعبث بهم أياد أجنبية تنصبهم ساعة تشاء وتخلعهم ساعة تشاء لا سلطة لهم، وهي حجة قوية للدلالة على طبيعة الصراع على الحكم الذي لا يشكل فيه الشعب مصدر السلطة وشرعيتها .

وصدق الشاعر أحمد مطر حينما صور هذا الواقع أحسن تصوير في قوله:[187]

الصَّناديـــــقُ التي غصَّ بها البَحْـــــرُ

صناديقٌ على بقعةِ زيــتٍ تتَقَلقَـــــلْ

كُلُّ صنـــدوقٍ به تيْـــــسٌ مُعقَّـــــل

ماله من أمره– وهوَ وليُّ الأمْرِ– شيْءٌ

فبأَمرِ الموجـــَــةِ الزَّرقـــــاءِ يـــَــأْتي

وبأمـــــرِ الموجـــَــةِ الزَّرقـــاءِ يَرْحَلْ

لجأ الشاعر لتعرية الواقع إلى استخدام أسلوب المفارقة ليثير ويصدم أفكار ومعتقدات المتلقي، ويشوش رأيه الخاص، واضعا القيم والحقائق موضع تصادم وتفارق [188]، لدفعه إلى إعادة التفكير وترتيب الأفكار والقضايا التي يتيحها الاستدلال الحجاجي كما في قوله السابق:

مَالهُ منْ أمْرِهِ – وهُوَ وليُّ الأمرِ– شيْءٌ

فالحاكم – ولي الأمر – في التقليد السياسي، يقوم بتدبير وتسيير الشأن العام، وتنظيم العلاقات بين الجماعات والأفراد، لكن كيف يمكن أن يكون حاكما للشعب يأتمر بأمره، وهو لا سلطة له

[187] الديوان، ص 69 .

[188] ينظر، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، عشير عبد السلام، ص189.

ولا قرار، والأدهى من ذلك أنه لا يملك من أمره شيئا، لا قدرة له على اتخاذ قرار يخصه فكيف به أن يسير أمور الرعية ويتخذ كافة القارات الشرعية؟.

وتكمن المفارقة هنا في أن مثل هؤلاء الحكام لم يصلوا إلى سدة الحكم باختيار الشعوب لهم، يمثلون الخصم لا الحكم، وبالتالي هي دعوة بطريقة غير مباشرة إلى التفكير في طرق مثلى لاختيار ممثلي الشعب ممن لهم القدرة على تدبير مصالحهم.

مما يجعلها تؤدي مجموعة من الوظائف داخل القول الحجاجي، بهدف الإقناع وإثارة المتلقي ضمنها المخاطِب في كلامه من خلال الرمز والمجاز، إذ يعتبر التلميح أبلغ من التصريح وأكثر تأثيرا، وهنا يحضرنا قول عبد القاهر الجرجاني عن فضل ومزية الصور البلاغية ودورها في الإقناع، حين قال "قد أجمع الجميع على أن الك لايتي أبلغ من الإفصاح والتعريض أوقع من التصريح، وأن للاستعارة مزية وفضلا، وأن المجاز أبدا أبلغ من الحقيقة. إلا أن ذلك وإن كان معلوما على الجملة فإنه لا تطمئن نفس العاقل في كل ما يطلب العلم به حتى يبلغ فيه غايته"[189]

لقد تنبه الجرجاني إلى دور الصور البلاغية في الفهم والإقناع ونفى عنها صفة الزخرف وأنها تأتي لتزين الكلام، وأعطاها بعدا تداوليا يمنح القول قوة حجاجية ويجعله أكثر قبولا واستحسانا من لدن المتلقي وبالتالي أكثر تأثيرا.

وفي الأخير لا بأس من الإشارة إلى بعض الافتراضات المسبقة والأقوال المضمرة، التي نجد لها حضورا مكثفا في الخطاب، يرمي من وراءها إلى التأثير في المتلقي ودفعة إلى مشاطرته الرأي واتخاذ موقف ما، مثل: الكرسي، الدمى، القافلة، الكلب الماكر، علبة الكبريت، أعواد الثقاب، حمير الوحش، الحمير الخادمة...

3- الأفعال الكلامية في عالم الخطاب:

تعتبر الأفعال الكلامية مؤسسة للخطاب، بل يمكن اعتبار الخطاب فعلا كلاميا كليا، كالأمر، والنهي، والاستفهام، تؤدي وظيفة جوهرية إنها فعل التأثير في المخاطَب ودفعه إلى اتخاذ قرار ما،

[189] دلائل الاعجاز، الجرجاني عبد القاهر، ص55، 56.

وتغيير معتقداته وجعله يتبنى موقفا فعالا، وهو ما يحاول الشاعر الوصول إليه، فعل التأثير على المخاطَب، وطلب الاستجابة لندائه، والمشاركة في القضايا المطروحة وتحمل المسؤولية ونستدل على المثل هذه الأفعال بما سماه سورل Searle التوجيهات directifs وهي كثيرة في الخطاب، تهدف إلى تفعيل العملية الحجاجية.

والحجاج بالأفعال الكلامية، إنما يكمن في تلك المستلزمات الخطابية التي تؤول وتحدد من السياق، تترك للمخاطب فرصة التفكير، ما يعني أنه ليس خطابا مفروضا على العقل والوجدان[190]، ثم إن الآليات الاستدلالية التي ينطوي عليها الخطاب هي في جوهرها تقنيات حجاجية.

والمدونة التي بين أيدينا حافلة بالأفعال الكلامية، بوصفها على حد تعبير الباحث مسعود صحراوي "نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري"[191] كالطلب والأمر والوعد، والنهي وتتمثل في:

أ- الأفعال التقريرية الواصفة constatifs

اكتفى فيها المخاطِب (الشاعر)، ببيان وعرض مجموعة حقائق، ونقل خبرات خارجية دون إبداء مواقف صريحة، وإن كانت تتشكل وتتضح أكثر في آخر القصيدة كقوله:[192]

أنَا لسْتُ إلاَّ شَاعراً

أبْصَرْتٌ نارَ العَارِ

ناشِبَةً بأرْدِيَة الغُفَاة

وقد تراوحت الأفعال بين الإثباتات الصريحة، والإثباتات المشوبة بالمجاز في الكثير من المقاطع كقوله:[193]

---

[190] ينظر، الإقناع المنهج الأمثل للتواصل والحوار نماذج من القرآن والحديث، بلعلي آمنة، مجلة التراث العربي، دمشق،العدد89، مارس، 2003م، ص6.

[191] التداولية عند العلماء العرب، صحراوي مسعود، ص 40.

[192] الديوان، ص12.

[193] المصدر نفسه، ص18.

آبَارُنَا الشَّهيدَة

تنْزِفُ نارًا ودمًا

للأممِ البعيدَة

ونحْنُ في جِوارِهَا

نُطعِمُ جُوعَ نارهَا

لكنَّنَا نجُوعْ!

أضاف ضمير الملكية للجمع ليدل على اشتراك الجميع في المصلحة، ثم أضاف ضمير المتكلم ليضفي على الكلام صفة المباشرة وكذلك ليصبغه بروح المسؤولية التي يتحملها الجميع، ثم يختم كلامه بإيراد الطباق الذي جاء في شكل مقارنة يدفع المتلقي لوحده للتمييز بين الحالين، وكأنه بأسلوب الطباق "نطعم، نجوع" يحمله مسؤولية الاختيار.

ترمي هذه الأبيات في مجملها إلى تحقيق العملية التواصلية بين الذوات المتخاطبة ما يشكل عامل إقناع وتأثير بالنسبة للمتلقي.

ب– الأفعال الإنجازية:

وهي التي "يقترن فيها المضمون بالأداء، أو ما نقوم به على سبيل التحقيق أثناء تأديتنا لعملية التمفصل اللغوي"[194]

وظهرت في الخطاب في شكل، أفعال غير مباشرة، ما يدلنا على أن المخاطب قد تصرف بحذر، خصوصا إذا تعلق الأمر بقضايا سياسة شائكة، تتوقف دلالتها على المقام الذي تندرج فيه.

– الاستفهام:

يعني في الأصل نوعا من الطلب يتعلق بحالة معينة للمخاطِب لجهله بأمر فيريد تحصيل العلم به، ويعد من أنجع أنواع الأفعال اللغوية حجاجا، إذ أن "طرح السؤال يمكن أن يضخم الاختلاف حول موضوع ما إذا كان المخاطب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب، كما يمكن أن يلطف السؤال

[194] المقاربة التداولية، أرمنكو فرانسواز، ص61 .

ما بين الطرفين من اختلاف" [195]. نفهم من ذلك أن السؤال يولد نقاشا ومن ثم حجاجا، فهو وسيلة لإثارة المتلقين ولفت انتباههم إلى موضوع ما، ثم دفعهم إلى القيام بعمل ما إذ يوجه المتكلم خطابه ليجعل المتلقي يصل لما يريده، ويكتسي الاستفهام طابعا حجاجيا حينما يكون بلاغيا، فهو في هذه الحالة أشد إقناعا للمتلقي، وأقوى حجة عليه، ذلك أنه حينما يخرج عن مقتضي الظاهر يصبح أكثر بلاغة وتأثيرا، وينطوي في بنيته على قوة حجاجية بالغة التأثير ومثل هذه الأفعال وردت بكثرة في الخطاب منها قول الشاعر:[196]

أيُّها اللّصُّ الصَّغيرُ

يأكُلُ الشُرْطِيُّ والقَاضِي

عَلى مائدَة اللِّصِّ الكبيرِ فبماذا تسْتَجِير؟

ولَمَنْ تشْكُو؟

أ للقانون... والقانونُ معدومُ الضَّميرْ؟

أ إلى خفِّ بَعِير

تشْتَكِي ظُلمَ البَعِير؟

يحتوي الاستفهام على قوة حجاجية تجعل المتلقي يقر بصحة كلام المخاطب ويشاركه قناعاته، أي استحالة العدل وغيابه وبظلم وفساد بعض الحكام ، إذ لا فائدة من أن تشكو وتبحث عن العدالة طالما أن حاميها متواطئ مع الظالم، وكيف تسترد حقك الضائع، والمشتكى له شريك للمشتكى منه، كيف ترى العدل وحاميه عديم الضمير، هو المسؤول عن ضياع الحقوق وغياب العدالة الاجتماعية.

كما لجأ الشاعر إلى الفعل الكلامي غير المباشرة acte indirect الذي ظاهره استفهام، وباطنه

---

[195] البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال مايير، القارصي محمد، ص399

[196] الديوان، ص43.

السخرية والاستهزاء من الواقع كقوله:[197]

لكنَّ الحُكامَ لولاَيَ

وَلوْلاَ هذِه الأشعارُ ماذا يعْمَلوُن؟.

فإذا لمْ أكْتُبْ الشّعرَ أنَا

كيْفَ يعيشُ المخْبِرُون؟

وإذا لم أشتُمِ الحكَّامَ

منْ يعتقلُون؟

وإذا لَمَ أُعتقَل ْحياً

فمَنْ يَسْتَجْوِبُون؟

وبماذا يُطْلِقُ الصَّوتَ وكيلُ الادِّعاءِ؟

وبماذا يَا تُرَى

يعملُ أربابُ القضَاءِ؟

وعَلى منْ يحْكُمُون؟

وإذا لم يسْجُنُونِي

فلمَنْ تفتحُ أبوابُ السُّجوُن؟

نجد الاستفهام في شكل حجاج يدعو فيه الحكام وأتباعهم في استهزاء وسخرية إلى التعقل والكف عن مطاردته والتضييق عليه والاعتذار له، ضمنها حججا بطريقة غير مباشرة، وهي دعوة إلى إعادة النظر في أفعالهم والكف عن مطاردة صوت الحق، في حين تعبر من جهة أخرى عن موقف الشاعر وتحديه لهم ورغبته في الاستمرار.

وأما في قوله:[198]

---

[197] المصدر نفسه، ص24.

[198] الديوان، ص27

حتىَّ متى نلُفُ حَوْلَ قبْرِناَ؟

حتىَّ متىَ نَدُور؟

لا بُدَّ أنْ تنقطِعَ الشَّعْرَهْ

وتُكسرَ الجَرَّة بالجَرَّهْ

ويُكْشَفَ المسْتوُرْ.

وكذا في قوله:[199]

وماذا مِنْ وراءِ الصِّدقِ تنتظرُ؟

سيَأْكُلُ عمرَكَ المنْفَى

وتلقى القَهْرَ والعسَفَا

وترْقُبُ سَاعةَ الميلادِ يوميًّا

وفي الميلادِ تُحتَضَرُ

يتساءل إلى متى سيظل في حل وترحال مطاردا، إلى متى ستظل كلمة الحق مطاردة والتفكير جريمة، ورفض الظلم جنحة، يتساءل بمرارة عن الثمن الذي دفعه لرفضه الوضع ومطالبته بالعدالة. يتساءل متى ستعلو كلمة الحق ويهوي الباطل، متى تكسر الشعوب قيود القهر وتنفض الذل والهوان، وكل هذا يجعل المتلقي يقر بصحة الأمر ويشاطره الموقف.

فالفعل الحجاجي بهذا المعنى، ليس سوى نوع من الأفعال الإنجازية التي يحققها الفعل التلفظي في بعده الغرضي التأثيري، الأمر الذي يجسد السلطة المعنوية للفعل الكلامي ضمن سلسلة الأفعال المنجزة لتبليغ فكرة ما إلى المتلقي[200].

– النفي:

---

[199] الديوان، ص72

[200] ينظر، الخطاب الاشهاري والقيمة الحجاجية، ص 4 www.google.com/ Search

يعد أسلوب النفي وسيلة من وسائل الإقناع، طالما أنه لكل كلام قوة تأثيرية تكسبه قوة حجاجية. فالنفي "يدل على تعدد الأصوات، إذ يسمح للمتكلم بالتعبير المتزامن عن الصوتين المتقابلين، الصوت الذي يتبنى جانب الإثبات، وصوت المتكلم المتبني للنفي، فالنفي يشير إلى إثبات ضمني ويرد عليه"[201].

وفعلا نرى ذلك ماثلا في قول الشاعر:[202]

كَفَرْتُ بالأقلامِ والدَّفاتِرْ

كفَرْتُ بالفصْحَى التي

تَحْبلُ وهيَ عاقِرْ

كفَرتُ بالشّعرِ الذي

لا يوقِفُ الظُّلمَ ولا يحرّكُ الضَّمائرْ

لعنتُ كلَّ كلمَةٍ

لم تنْطلِقْ منْ بعدِهَا مَسيرَهْ

ولم يخطُ الشَّعبُ في آثارِهَا مَصِيرَهْ

لعَنْتُ كلَّ شاعرٍ

يستلهِمُ الدَّمعةَ خمراً

والأسَى صبَابةً

والموتَ قشعريرَهْ.

ولا يَرَى فوهةَ بندقيةٍ

حين يرى الشّفاهَ مُسْتجيرهْ

---

[201] بلاغة الخطاب وعلم النص، فضل صلاح، ص94.

[202] الديوان، ص4،5.

ولا يرى مشنقةً

حين يرَى الضَّفيرة

يعرض الشاعر في قصيدته موقفين متصادمين، موقف المتخاذل الذي لا يحرك ساكنا يرى الظلم ولا يوقفه، وموقفه البطولي الذي يرمي إلى الدفاع عن حقوق الضعفاء وكرامتهم، ويتبرأ من كل شاعر متخاذل يعمى عن رؤية الحقيقة، وبدل أن يسخر شعره للدفاع عن قضايا الوطن، يطوعه للقصائد الغزلية. وفي مقابل ذلك ينفي عن نفسه أن يكون أحد هؤلاء ويعرض موقفه المشرف لما يقف للدفاع عن الحرية والعدالة، يسخر الكلمة للنضال، محاولا إيقاف الظلم واجتثاث جذوره، مقاسما الشعوب مرارة الموقف، فهو يرى في الشعر وسيلة لإبداء كلمة الحق ووسيلة لتحريك الضمائر.

فالنفي في هذا الإطار يعرض موقفين متباينين، موقف الشاعر المدافع عن الكرامة والحرية والشرف، وموقف الآخر المتخاذل والمتقاعس عن أداء الواجب وينفي بالتالي عن الشعر أن يكون مجرد كلام غراميات وغزل، وإنما يراه سلاحا فعالا للدفاع عن الحرية المستباحة ولرد الاعتبار.

ثانيا – آليات الإقناع في الخطاب الشعري:

إن الهدف الذي يقوم عليه الحجاج l'argumentation هو تحقيق الإقناع، ودفع المتلقي إلى التسليم بالنتائج، أو تبينها واتخاذ موقف ما، بعد تسخيره لكافة الوسائل اللغوية التي تنم عن مهارة صاحبها وقدراته الحجاجية العالية في التأثير على المتلقي وكسب وده وتأييده.

فالفاعلية الحجاجية تنبني على حسن عرض المقدمات المفضية إلى النتائج الأكثر إقناعا، يصل إليها المتلقي بفعل امتلاكه لكفاءات وقدرات ذهنية تسمح له بتوظيف افتراضاته المسبقة عن الموضوع، وكذا معارفه، اعتمادا على قدراته الاستنتاجية.

كما يشترط على المخاطِب أن يحسن الربط بين المقدمات والنتائج ذلك أن "الربط بين القضايا إنما يتحدد بنوع من تجانس تعلق الأحداث مما تشير إليه تلك القضايا" [203]، وأن تكون هذه الحجج مناسبة لفحوى القول ومقصد المتكلم.

يتألف الخطاب الحجاجي في ديوان -أحمد مطر- من حجج متعددة ومتنوعة تكون صريحة أحيانا وظاهرة للعيان، وضمنية حينا آخر تتسم بالانفتاح، تهدف إلى إقناع أكبر عدد ممكن من المتلقين تتماسك هذه الحجج لتشكل في نهاية الأمر حجة كبرى، نلمسها بالقراءة المعمقة، هذا على المستوى الخارجي، أما على الصعيد الداخلي أي على مستوى العلاقات بين الحجج، فيتم الأمر بالربط بين المقدمات و النتائج، بواسطة روابط تكون ظاهرة أو ضمنية، هذه الأخيرة يتولى السياق إبرازها، وبالتالي انسجام الحجج وتكاملها.

1- التقنيات اللغوية:

صاغ الشاعر، مجموعة من الأدلة، ليخدم وجهة نظره عن طريق حمل المتلقي على التسليم بصحة موقفه وتبني ما يطرحه من أفكار، بهدف التأثير عليه وإقناعه بصحة رأيه.

فعمد إلى اختيار الحجج المناسبة مستخدما عدة أدوات وتقنيات أسلوبية تراوحت ما بين، ألفاظ التعليل والسبب، وأدوات التوكيد، والتكرار، وكذا الروابط الحجاجية.

مكنته من ترتيب حججه، انطلاقا من المقدمات وصولا إلى النتائج(دفع المتلقي إلى اتخاذ موقف من الأحداث).

تمثلت هذه التقنيات في:

1-1- ألفاظ التعليل:

لجأ الشاعر إلى استخدام ألفاظ أسهمت في الربط بين المقدمات والنتائج، لتبرير مواقفه وتعليلها منها: المفعول لأجله، وكلمات مثل لأجل، لأن، كي، لكي.

---

[203] ينظر، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي، التداولي، فان ديك، تر عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، 2000م، ص76.

– المفعول لأجله:

"مصدر يدل على سبب ما قبله ويشارك عامله في وقته، وفاعله(...) وهو ثلاثة أقسام: مجرد من أل، والإضافة(...) ومضاف(...) ومقترن بأل وهذا القسم دقيق في استعماله وفهمه، قليل التداول قديما وحديثا"[204]، يجوز جره بحرف من حروف الجر التي تفيد التعليل.

وهذا الأخير ورد في قول أحمد مطر:[205]

كُلَّمَا ضاقَتْ بنَا الأرْضُ

أفادُونَا بتوسِيعِ الكَــلامِ

حَولَ جدْوَى القرْفصَــاء

و أبــادُوا بعضَــــــنَا

مــنْ أجْلِ تخفيفِ الزِّحَام

ورد لفظ التعليل مفعولا لأجله يبين سبب إبادة بعض الحكام شعوبهم لتخفيف الزحام. يحاجج لصالح نتيجة هي أن هؤلاء الحكام وبعد أن باعوا أراضيهم وقدموها هبة لأعدائهم لم يجدوا وسيلة لإسكات شعوبهم المتذمرة غير التخلص منها إن تطلب الأمر، وهذا إنما يدل على لا مبالاتهم.

فالإبادة قد تكون الحل للتخلص من الشعوب، بعدما ضاقت بهم الأرض وكثرت شكاويهم، وكل ذلك حجة بالغة على التسرع في اتخاذ القرارات وعشوائيتها ويمكن أن نمثل للبنية الحجاجية كالآتي:

المقدمة ← الرابط ← النتيجة

إبادة بعض الشعوب ← من أجل ← تخفيف الزحام

– اللام الجارة*:

[1] ينظر، النحو الوافي، حسن عباس، دار المعارف، مصر، ط3، ج2، 1966م، ص225.

[205] الديوان، ص23.

لهذه الأدوات معان كثيرة، تفيد التعليل وتربط بين المقدمات والنتائج.

من ذلك ما جاء في قول الشاعر:[206]

واسْبِقْ سواكَ بكُلّ سَابقَة

فإنَّ الحُكْمَ محْجـــــــوزٌ

لأربـــــاب السَّوابـــــقْ

يحاول الشاعر إقناع المتلقي بفساد أنظمة الحكم، واستخدام اللام الجارة ليدل على أن النفاق والخداع سبب يوصل إلى المناصب العليا ويحقق المآرب وهي حجة أقوى على الفساد وتدهور الوضع. فالوصول إلى الحكم نتيجة، والسبب هو كثرة السوابق وتعددها، وأما الرابط فهو اللام الجارة.

– اللام الناصبة*:

تنصب الفعل المضارع، ومن أنواعها لام كي وهي لام التعليل ،لام الجحود وهي الواقعة بعد كان الناقصة المنفية الماضية لفظا أو معنى، ولام الصيرورة وتسمى لام العاقبة أو لام المآل ، اللام الزائدة، واللام التي بمعنى "أن "، واللام التي بمعنى الفاء. [207] هذه الأخيرة تتولى الربط بين الأسباب والنتائج المترتبة عنها.

كقوله[208]:

فالجهْلُ أنْ تَهْـــــــــوِي

---

* من معانيها: الاختصاص، والاستحقاق، والملك، والتعليل، والسبب، التبين، والتعدية والصيروة، ينظر، الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي الحسن بن قاسم، تح: محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ ، 1992م، ص96-98 .

[206] الديوان، ص13.

* "تنصب المضارع عند الكوفيين، أما عند البصريين فهي حرف جر، والناصب أن المضمرة بعدها " ينظر، الجنى الداني في حروف المعاني، ص114.

[207] ينظر، المرجع السابق، ص115-123.

[208] الديوان ص13.

ليرقى فَوْق جثَّتِكَ المنافِقْ

يحاجج لصالح انقلاب الموازين، إلى درجة أصبح فيها الكاذب والمنافق في علو ورفعة في مقابل الصادق صاحب المبادئ الذي لا مكان له بين أصحاب المصالح والنوايا الخبيثة، الذين باعوا ضمائرهم ولا يتحرجون في اللجوء إلى أقذر الطرق لتحقيق مآربهم ومطامعهم.

ومثل هؤلاء هم سبب فساد الأوضاع، يحملهم مسؤولية انهيار القيم الخلقية وطغيان المصالح، والضحية في كل ذلك هو المواطن الشريف المغلوب على أمره.

- لام كي:

لجأ الشاعر إلى توظيف هذه الأداة مقترنة بكي في قوله[209]:

تعْدوُ حمِيرُ الوَحْشِ في غابَاتِهَا

مُسوَّمةْ

قويَّةً مُنْتقمَة

لا تقبلُ التَّرويضَ والمسالمْ

فالغابُ قدْ علَّمَهاَ

أن ترْكلَ السِّلمَ وراَء ظَهرِهاَ

لكَيْ تظَلَّ سَالمْ

فرميهم السلم ورفضهم مهادنة الشعوب وحرصهم على بقاء الأمور على حالها هو سبب كفيل ببقاء الأمور على حالها، واستقرارهم في السلطة وإضعاف خصومهم.

-كي:

[209] الديوان، ص13.

تفيد التعليل وتربط بين المقدمات والنتائج مثل قوله[210]:

وتَحْتَ ظُلمَةِ الثَّرى

والبُؤْسِ والهوانْ

تسافرُ الجذورُ في أحزَانِهَا

كي تَضْحَكَ التيجَانْ

فسبب سعادة الحكام وتنعمهم في العيش الرغيد هو بقاء الشعوب في بؤس و هوان وذل وشقاء، يتجرعون مرارة الحرمان.

إذ جعل معاناة الشعوب وحزنهم سببا في تمتع الحكام بالرفاهية، وإن كان ذلك على حساب رعيتهم.

وكذا في قوله[211]: ...

رَغْمَ الضَّياعِ والردَى

تُعِدُّ منْ نعُوشِهَا سَفِينَةً

تخيطُ مِنْ أكْفَانِهَا أشْرِعَةً

كي تنْقِذَ الدَّليلْ

يمكن التمثيل لهذه الحجة بما يأتي:

السبب ← الرابط النتيجة ←

إعداد وسيلة الإنقاذ ← كي ← إنقاذ الدليل

فبالرغم من معاناة الشعوب فإنها تحاول النجاة وإنقاذ الدليل الذي ساقها للهاوية، وهي حجة قوية للدلالة على عدم الاستسلام والإيمان العميق بإمكانية تغيير الأوضاع إلى الأحسن.

– لأنّ:

---

[210] المصدر نفسه، ص 8، 9 .

[211] الديوان، ص10.

تعد من أكثر ألفاظ التعليل قدرة على تبرير المواقف، "يبدأ المرسل خطابه الحجاجي بها في أثناء تركيبه، وتستعمل لتبرير الفعل كما تستعمل لتبرير عدمه"[212]، وقد استعملها الشاعر في قوله:[213]

فصرَخْـــتُ هبُّـــوا للنَّجـــَـــــاة

فـــــإذا أفَاقُـــوا للْحَيَـــــــــاة

ستحتفِـــي بِهِـــــمْ الحيـــَـــــاة

و إذا تلاشـــــَـــــتْ صرخـــَـــتي

وســـْـــطَ الحرائقِ كالدُّخَـــــان

فـــلأنّ صرخَـــــةَ شـــَـــــاعِرٍ

لا تبْعَثُ الرُّوحَ الطلِيقةَ في الرُّفَاتْ!

يبرر الشاعر سبب عدم نهوضهم ودفعهم للخطر المتربص بهم بفقدانهم المقاومة وعجزهم فشبههم بجثث الموتى الذين يستحيل أن يكون لسحر الكلمة مفعول عليهم، لا يشعرون ولا قوة لهم لدفع الهوان والذل ومهما حاول الشاعر فإن ذلك لن ينفع معهم، لأن الشعوب التي ماتت فيها النخوة والمروءة وتعوّدت على ذلك، و لم تعد لها القدرة على التغيير أشبه بالجسد الميت الذي لا تنفع معه كل طرق العلاج.

ويمكن أن نمثل لهذه الحجة بما يأتي:

النتيجة: عدم الإسراع إلى دفع الظلم و تغيير الوضع (موت الحرية)

الرابط: لأنّ

السبب: غياب روح المقاومة والاستسلام

نلاحظ أن الشاعر في استعماله لهدا الرابط بدأ بالنتيجة ثم الرابط فالمقدمة أو السبب.

النتيجة ←——— الرابط ←——— المقدمة.

---

[212] استراتيجيات الخطاب، ص 478 .

[213] الديوان، ص 12.

كما استعمل الشاعر الرابط (لأنّ) ليبرر اضطهاد بعض الحكام لكل مناد بالحرية وكتمهم لصوت الحق في قوله:[214]

وهــَذه الأوطَـــــانُ

إذا أتـــَاها ظَـــالِمٌ

تُزِيح كلَّ طائــرٍ مغرِّدٍ

وزَهْـــــــرةٍ بريـــَّـةِ

لأنها تَخْشىَ علَى شُعوُرِه

من منْظَــر الحُرِّيـــَـة

برر سبب اضطهاد كل صاحب فكر ومناد بالحرية بتج ذر الظلم وتغلغله في قلوب ولاة الأمر والذي أضحى ميزة من ميزات حكمهم لا يرضون بغيره فيعملون على مصادرة ومطاردة كل شاعر شريف ويدينونه إنْ طالب بالحرية وجهر بموقفه.

ويمكن تمثيل هده الحجة بـــ:

النتيجة ←	الرابط ←	المقدمة
القضاء على كل صاحب فكر ومنادٍ بالحرية	لأنّ	الخوف من إيقاظ الوعي ودفع الشعوب إلى المطالبة بحقوقها

1-2- التأكيدات الأسلوبية:

1-2-1- المقابلة بين السبب والنتيجة المنطقية:

إذا كان الحجاج يعني "مجموع ما يطوّعه المتكلم، بغية خدمة وجهة النظر، عن طريق حمل المتلقي على التسليم بصحة موقفه أولا، والاقتناع وتبني ما يطرحه من وجهات نظر ثانيا"[215]، فإننا

---

[214] الديوان، ص 31.

[215] في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء ، نواري سعودي أبوزيد، ص96 .

نرى الشاعر يسخر لتحقيق ذلك وسائل لغوية تؤخذ مسلكا إقناعيا في شكل استدلالات تفضي إلى نتائج مقنعة، يمكن أن نمثل لها بالمقاطع الآتية:

(النتيجة) **أرْضُنَا تصْغُرَ عامًا بعْدَ عام**	(فقدان الوطن والحرية)
(السبب) **وحُمَاةُ الأرْضِ...أبناءُ السَّماء عُمَلاء**	(ولاة الأمر باعوا الأرض وفرطوا في العرض)
(النتيجة) **عرْضُنَا يُهتَكُ فوَق الطُّرقَات**	(الذل والمهانة)
(السبب) **وحُمَاة الأرضِ...أولاَدُ حَرَامٍ نَهَضُوا بعْدَ السُّبَات**[216]	(تواطؤ وتخادل الحكام)
(السبب) **قَدْ زَرَعتُم جَمَراتِ اليَأس فينَا**	(المعاناة والظلم)
(النتيجة) **فاحْصُدُوا نارَ الفنَاء**	(تحمّل الولاة النتائج)
(السبب) **فإذا مَا أَصْبَحَ العيشُ قرينًا للمنايَا**	(حياة الشعوب أشبه بالموت)
(النتيجة) **فسَيَغْدُو الشَّعبُ لُغْمًا ... وستغْدوُن شَظَايَا !**[217]	(سينفجرون في وجه الظالم وينهون معاناتهم)

ما يمكن أن نستخلصه هو أن أزواج المقابلات قدّمت في شكل قضايا استدلالية، لا تترك أي فرصة أمام المتلقي سوى الاقتناع والتصديق.

1-2-2- التكرار:

لا يندرج التكرار ضمن الترف الكلامي أو تزيين وتنميق الأسلوب، إنما يساهم في تماسك الخطاب، ويؤدي وظيفة أخرى هي تأكيد الحجة [218]، إذ "يقوي الحجة في كل مرّة يتلفظ بها، فالألفاظ لم تتغير ولكن المتغير المصاحب للتلفظ هو الأثر التداولي الذي يريد المخاطِب تحقيقه"[219].

---

[216] الديوان، ص22، 23.

[217] المصدر نفسه، ص49، 50.

لقد عمد الشاعر إلى التكرار ليقنع المتلقي بفداحة الخطب ويمكن أن نمثل له بقوله:[220]

نَافِقْ

ونافِقْ

ثم نافِقْ ثم نافِقْ

لا يَسْلَمُ الجَسَدُ النَحِيلُ منَ الأذىَ

إنْ لم تُنَافِقْ

نافِقْ

فماذا في النِّفَاقِ

إذا كذبْتَ وأنْتَ صَادِقْ؟

نافِقْ

فإنَّ الجَهلَ أنْ تهوَى

ليرقى فوقَ جَّثتكَ المَنَافِقْ

يميل المخاطب إلى هده الوسيلة النصية- التكرار- ليجعل خطابه مفهوما أكثر ويزيد في فهم المتلقي له وجذب انتباهه لما هو مستفز وربما مال إلى التكرار في سياق الاستهزاء من هؤلاء المتسلقين الطامعين إلى السلطة بالنفاق والخداع.

2-السلم الحجاجي: L'échelle Argumentative

ارتبطت فكرة الحجاج لدى ديكرو Ducrot بمفهوم السلم الحجاجي بوصفه "فئة حجاجية موجهة بواسطة علامات لسانية (الروابط الحجاجية) التي تربط بين فعلين كلاميين داخل القول

---

[218] ينظر، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، الخطابي محمد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،ط 1، 1991م، ص 177.

[219] استراتيجيات الخطاب، ص 493

[220] الديوان، ص 13

الواحد"[221]، تتفاوت فيه الحجج من حيث القوة والضعف ما يسمح للمخاطب من عرض حججه، وللمتلقي بالاقتناع شيئا فشيئا، سواء كان هذا الترتيب محدّدا بواسطة الروابط أو بدونها، ولشرح ذلك أكثر نستعين بما ورد في خطاب الشاعر.

شكلت الحجج في الديوان سلالما حجاجية أسهمت في إقناع المتلقي، يمكن أن نمثل لها بقول الشاعر:[222]

فِي البَدْء كانَتْ الكَلمَة

ويوم كانَتْ أصْبَحَتْ مُتَّهمَة

فطُوردَتْ

وحُوصِرَتْ

واعتُقِلتْ

وأعْدَمَتْهَا الأنْظِمَة

إن هذه الأقوال ليست على درجة واحدة من القوة، وإنما تتفاوت ما بين القوة والضعف وكل قول يرد في درجة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، كما نلاحظ أن القول الذي يعلوه أقوى منه في التدليل على النتيجة، "فالاتهام والمطاردة" يقعان في أسفل درجات السلم، وأما القول "أعدمتها الأنظمة"، فيندرج في أعلى السلم، بوصفه أقوى الحجج ويتضح ذلك أكثر وفق الشكل الآتي:

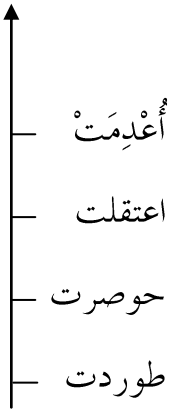

الاضطهاد وغياب الحرية

[221] Dictionnaire Ecchymotique de la pragmatique, P282.

[222] الديوان، ص01.

اتهمت

ونجده في قصيدة الجار والمجرور، يصف حجم المعاناة التي تعترض كل إنسان حر مؤمن بالحرية، والعدالة الاجتماعية التي يراها الشاعر مجرد حلم صعب المنال، بعدما استعانت بعض الأنظمة بالمخبرين الذين لا يتركون أي شيء للصدفة، يحاجج في هذا الخطاب على دهائهم ومكرهم وقدرتهم على الحصول على ما يريدون بكل الطرق، يقول:[223]

لي جارٌ مُخْبِرٌ

في قَلْبِه تجْرِي دمَاءٌ وشِرَاكْ

نَظْرَة منْهُ ... هَلاَكْ

همسة منه ... هَلاَكْ

رَحْمَة منه ... هَلاَكْ

نلاحظ أن هذه الحجج لا تترتب في سلمية حجاجية واحدة، وإنما هي مرتبة من الأضعف إلى الأقوى، فهو لمجرد أن يراك أو يهمس في وجودك صرت في قائمة المتهمين، حتى الرحمة منه تقود إلى الهاوية، إلى درجة أن الشخص متهم قبل أن تثبت إدانته، وهذه الأخيرة أقوى حجة على القمع، وتترتب الحجج كما يأتي:

وفي قوله:[224]

[223] الديوان، ص45.

[224] المصدر نفسه، ص48.

تترِفُ الثروة والزادُ لأصحَابِ الحَوايَا

ولأصْحَابِ الثَّرَاء

وكفَاهُم رحْمةً

أنْ يترُكُوا مِنْ دَمِنَا فِينَا... بقَايَا

وكفَاهُمْ كَرماً

أن يَمْنَحُونَا الذُّلَّ مجَانًا

وأنْ يَحْتَسبُوا القَهْرَ عَطَايا!

وكَفَاهُم رقَّةً

أنْ يَمَنَحُونَا حَقَّ تقديرِ البُكَاء.

يصف الواقع المزري الذي أضحت الشعوب تعيشه، فبالرغم من غناها بالثروات إلا أنها لا تستفيد شيئا، ما دامت كلها في خدمة أصحاب الثراء، أما الشعوب فنصيبها تكرم هؤلاء عليهم بأن تركوا فيهم بقايا من دماهم رحمة وشفقة عليهم، ومن شدة سخائهم أن منحوهم الذل بلا مقابل، ومن رقتهم أن تركوا لهم حرية البكاء دون أن يتدخلوا، وبعد هذا يضيف الشاعر متهكما أنه لابد أن لا نتذمر ما دام أننا في أحسن أحوالنا.

تترتب هذه الأقوال في السلم حجاجي لتدل على نتيجة واحدة هي الحرمان والفقر

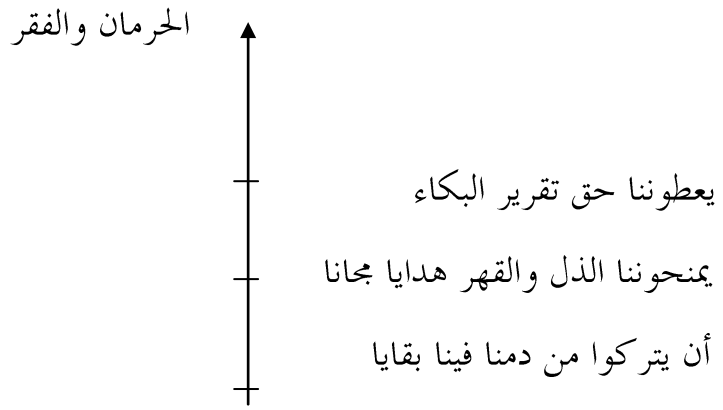

ثم يعزز هذا الموقف المهين والمخزي بقوله:[225]

وَكفاَهُمْ عِزَّةً فِي ظَلّهِـــمْ

أنْ تَقدَّمنَا كثِيرًا... للوَرَاء

يحاجج به على تمتع الشعوب بالعزة في ظل وجود مثل هؤلاء، ولكن بمنطق العكس تقدم إلى الوراء وهذا الأخير أقوى في التدليل على النتيجة المقصودة.

ونراه في قصيدة أخرى يتخذ موقف المدافع عن الحرية الذي لا يخاف حد السيف ولا بطش الحاكم، متحديا الصعاب في قوله:[226]

كَانَ وَحْدهُ

شاعِرًا يرهبُ حدُّ السَّيْفَ حَدَّه

وتَخَافُ النّارُ برْدَه ْ

ويَخَافُ الخوْفُ عِنْدَهْ

قرّر أن يواجه الموقف بمفرده، و لم يعد يبالي ولا يخاف إلى درجة أنّ سيف الموت الذي لطالما لوح به المستبد أضحى يخاف رد فعله، و لم تعد نار البطش تحرقه بل أضحت تخاف برودته، و لم يعد للخوف مكان في قلبه، فأضحى الخوف يخاف من ردة فعله، وهذا الأخير أقوى حجة على تحديده وعدم رهبته.

وتترتب الأقوال في السلم الحجاجي كالآتي:

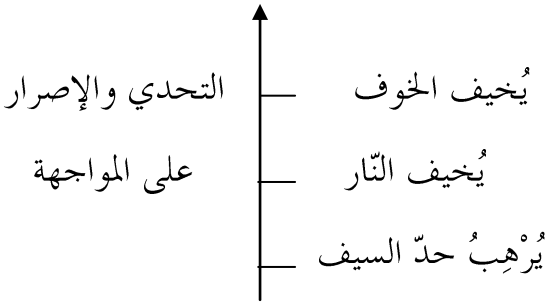

[225] الديوان، ص48.

[226] المصدر نفسه، ص51.

ولنتمكن من إدراك قيمة الفعل الحجاجي في الخطاب ودوره في الإقناع، نستعين بشيء من قوانين السلم الحجاجي الثلاثة مع التمثيل لها بما ورد في خطاب الشاعر.

لقد استنتج طه عبد الرحمن ثلاثة قوانين تسهم في ترابط الحجج وترتيبها بشكل يجعلها أكثر إقناعا وهي:

قانون الخفض la loi d'abaissement ويعني أنه "إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها" [227]. أي أن الخفض الناتج عن نفي الحجة لا يقع في السلم الحجاجي ذاته، فقولنا مثلا: (وأعدمتها الأنظمة) حجة مثبتة، لا يمكن أن يرد نفيها في نفس السلم الذي تقع فيه (لم تعدمها الأنظمة)، ونقيض القول يصدق في المراتب التي تحتها، بمعنى إذا صدق قول الشاعر عن غياب الحرية والاضطهاد (وحاصرتها وطاردتها الأنظمة)، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تحتها بمعنى (الشاعر ليس حرا)، يصدق على الدرجة السليمة التي أدناها وهي (وأعدمتها الأنظمة).

إذن يؤدي نفي إحدى الحجج إلى نفي مدلول الخطاب، وهذا ما ينعته طه عبد الرحمن بقانون النفي la loi de negation أو تبديل السلم، ومقتضاه أنه "إذا كان القول دليلا على مدلول معين، فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله" [228]، أي إذا كان قول المخاطِب موجها ليخدم نتيجة معينة، فإن نفيه سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة، فمثلا لو ننفي قول الشاعر (أصبحت متهمة)، فيصير (لم تصبح متهمة)، فإنها سوف تترتب عكسيا.

فقولنا لم تصبح متهمة يؤدي إلى نتيجة مفادها ثمة حرية، وتصبح أقوى من كل الأدلة الأخرى على حرية التعبير والرأي.

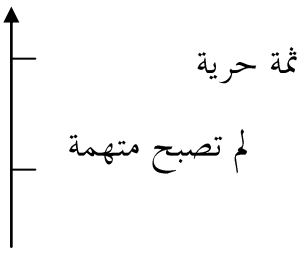

[227] اللسان والميزان، ص277.

[228] المصدر نفسه، ص278.

ثم إن نفي أية حجة في سلم حجاجي ما، لا يستلزم نفي ما يقع تحته، وهذا ما يسميه طه عبد الرحمن قانون القلب la loi d'inversion ويعني "أنه إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول، في التدليل على نقيض المدلول"[229]. ويمكن توضيح ذلك بالاستعانة بما ورد في خطاب الشاعر، فقوله السابق (ويوم كانت أصبحت متهمة)، وقوله (وأعدمتها الأنظمة)، حجج تدل على غياب الحرية والاضطهاد، إلا أن الحجة (وأعدمت) أقوى من قوله (اتهمت) ولكن إذا نقضنا الحجج، فإن نقيض القول الثاني أقوى من نقيض القول الأول، وتصبح الحجة (ليست متهمة) أقوى من الحجة (لم تعدمها الأنظمة).

ولا يتحقق السلم الحجاجي فقط بواسطة هذا التفاوت في القوة والضعف، وإنما يبرز أكثر بواسطة مؤشرات لغوية تنعت بالروابط والعوامل الحجاجية

2-1- وسائل السلم الحجاجي:

تعد الروابط والعوامل الحجاجية أدوات تقوم ب "الربط بين قضيتين وترتيب درجاتها بوصف هذه القضايا حججا في الخطاب"[230]، وتوجه الحجاج نحو نتيجة ما، وستقتصر دراستنا في الخطاب الشعري على الرابط لكن، وبدرجة أقل الرابط حتى، نظرا لكثرة استعمالهما في الخطاب، وعلاقتهما بالمعنى الصريح والمضمر implicite.

2-1-1 -الروابط الحجاجية: Connecteurs Argumentatifs

- الرابط الحجاجي لكن:

[229] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[1] استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص508.

تربط لكن بين حجتين متفاوتتين، وتفيد معنى الاستدراك، والذي يعني في النحو العربي "أن تنسب حكما لاسمها، يخالف المحكوم عليه قبلها، كأنك لما أخبرت عن الأول بخبر، فخفت أن يتوهم من الثاني مثل ذلك، فتداركت بخبره، إن سلبا وإنْ إيجابا، ولذلك لا يكون إلا بعد كلام، ملفوظ به، أو مقدر"[231]

نفهم من هذا الكلام أن وظيفة الاستدراك إزالة ما يتوهمه المخاطب من الكلام قبلها، وإبعاده وتعقيبه بكلام ثان هو المقصود والأقوى.

ويتم الوصف الحجاجي للرابط لكن الذي يعبر عن التعارض * والتنافي بين ما قبلها وما بعدها كما يأتي:[232]

1- يقدم المتكلم(أ) و(ب) باعتبارهما حجتين، الحجة الأولى موجهة نحو نتيجة معينة (ن)، والحجة الثانية موجهة نحو النتيجة المضادة لها، أي (لا – ن).

2- يقدم المتكلم الحجة الثانية، باعتبارها الحجة الأقوى، توجه القول أو الخطاب برمته.

ويمكن توضيح هذه العلاقة وفق الشكل الآتي :

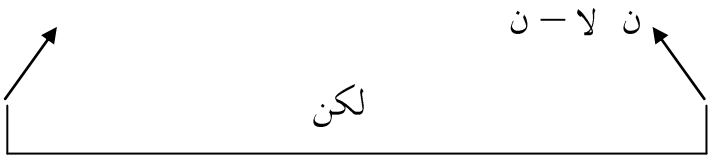

ح1 ن لا – ن ح2

ونمثل بقول الشاعر:[233]

طَالعْتُ في صحيفةِ الرَّحِيل

---

[231] الجنى الداني في حروف المعاني، ص615.

* هذا الأمر أكده أغلب النحاة العرب القدامى، يقول المرادي " ولا تقع لكن إلا بين متنافيين، بوجه ما، فإن كان ما قبلها نقيضا لما بعدها أو ضدا، جاز بلا خلاف"، المصدر نفسه، ص616.

[232] ينظر، اللغة والحجاج، العزاوي أبو بكر، ص58.

[233] الديوان، ص10.

قافَلةً تائهةً

دليلُهَا يَسْتُرُ قبْحَ فِعْله

بصْبرِهَا الجَمِيل

رَأيتُها تغرَقُ في دمَائِها

والدمْعِ والعويل

لكنَّها رغم الضَّياع والرَّدى

تُعِدُّ من نعوشِها سَفينةً

تخِيطُ من أكفانَهَا أشْرعَةً

كي تُنْقذ الدَّليل

ثمة تعارض بين ما يتقدم الرابط وما يتلوه، فالقسم الأول يتضمن حجة تخدم النتيجة من قبيل (الضياع والتيه)، في حين يخدم القسم الثاني النتيجة المضادة (النجاة)، وبما أن الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى، فإنها ستوجه القول برمته نحو النتيجة الثانية (النجاة وعدم الضياع).

يستعمل الشاعر الرابط لكن لعكس الاستدراك وتوجيه الحجاج لما يستلوه اعتمادا على ما قبلها، فالقول (رأيتها تغرق في دمائها) يخدم النتيجة من قبيل الضياع بفعل تخاذل الحكام الذين أوصلوا شعوبهم إلى الهاوية، لكنه يستدرك ذلك بأنه (رغم الضياع ومرارة الموقف) تستجمع هذه الشعوب قواها لتنقذ الدليل (الحاكم) من سوء المصير ويمكن تمثيلها بالسلم الحجاجي الآتي:

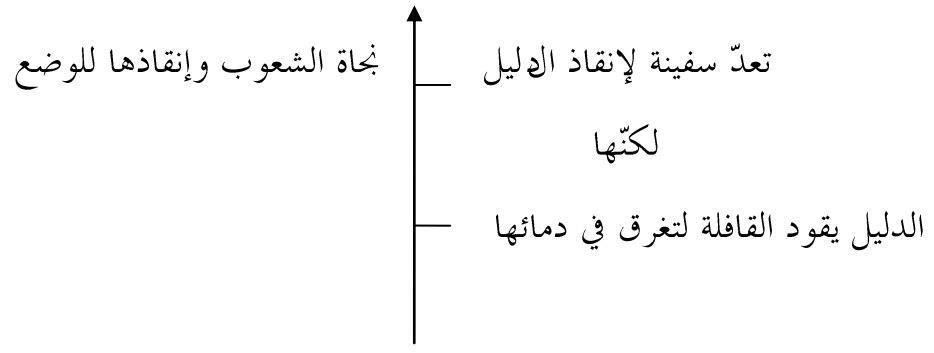

وبذلك تترتب الحجة بعد لكن في أعلى درجات السلم الحجاجي.

وفي قول الشاعر:[234]

آبَارنَا الشَّهيدة

تترفُ نارًا ودمًا

للأممَ البعيِدة

ونحن في جوارِها

نُطعمُ جُوعَ نارِهَا

لكِنّنَا نَجُوعْ!

ويعني أنّ الشعوب تعاني الفقر والحرمان بالرغم من أنها تنام على ثروات لا تعد ولا تحصى، يستفيد منها الآخرون، فبالرغم من غناهم إلا أنهم فقراء معدمون، وتم الربط بين الحجج بواسطة لكن فجاءت الحجة الثانية (تجوع) أقوى وأعلى رتبة مقارنة بما قبلها، ونمثل لهما بالسلم الآتي:

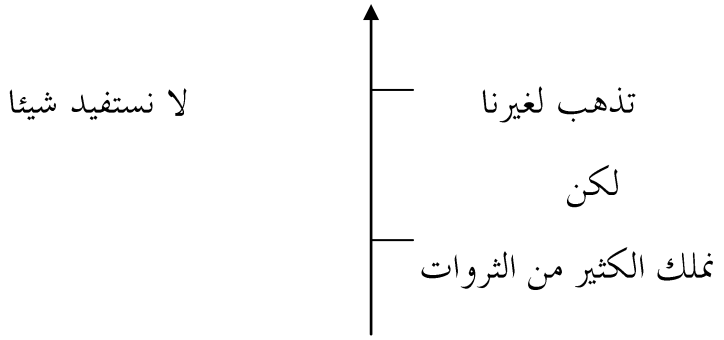

وهذا التوجيه نحو النتيجة المضادة بعد لكن، يجعل الحجج أقوى قياسا بما قبلها.

والأمر ذاته في قوله:[235]

[234] الديوان، ص18.

[235] الديوان، ص15، 16.

نحْنُ أمواَتٌ

ولكِنَّ اتّهَام القاتِل المأجُور

بهتانٌ وَزُور

هو فرْدٌ عاجزٌ

لكنّنا نحْنُ وضَعْنا بيَدَيْهِ الأسْلحَة

ووضَعنَا تحْتَ رِجْلَيْه النُّحُور

وَتواَضَعْنا علَى تكْلِيفِه بالمذْبَحَة

يقصد بخطابه أنهم أشبه بالأموات، لكن موتهم لم يتم بفعل فاعل، وإنما سببه ذلهم وهوانهم واستسلامهم، فالعدو لم يستبح كرامتهم وما كان ليتجرأ عليهم لولا تخاذلهم، فقدموا له أنفسهم قربانا ليتولى هو طقوس المذبحة، والحجة في ذلك هي قوله (هو فرد عاجز) تتجه إلى نتيجة من قبيل (لا يستطيع شيئا) ثم يستدرك بلكن موجها الكلام نحو الحجة الأقوى (وضعنا تحت رجليه النحور وتواضعنا على تكليفه بالمذبحة)، بمعنى مكناه من ذلك بعد أن تركنا له المبادرة، محملا الجميع المسؤولية.

وفي سياق الدفع والتحريض الذي يدعو إليه، نراه يتحدى الوضع وينفي عن نفسه صفة الخضوع والخوف يقول:[236]

لم تُقيِّدْه قيود القهر

لكنْ

هُو مَنْ قيّد قيْدَه

نفهم من خطابه أنه لم تعد الظروف الصعبة والمحن عائقا أمام كل حرّ شريف فقد تغلب على خوفه، وبعد ما كانت تقيده وتكبله قيود القهر والاستسلام، انقلبت الأوضاع وأصبحت

[236] الديوان، ص51، 52.

رغبته الجامحة في التحرر هي من تأسر القيد وتمنع الخوف من أن يتسلل إلى نفسه، وتترتب الحجج وفق الشكل الآتي:

هو من قيد قيده التحدي والعزيمة

لكنْ

لم تقيده قيود القهر —

– الرابط حتى:

يمكن دورها في ترتيب الحجج داخل القول الذي يخدم نتيجة واحدة [237]، وتنعت برابط التساوق الحجاجي coorientation argumentative، إلا أن الحجة الواردة بعده أقوى من الحجج التي تتقدمه، كقوله:[238]

فإذا مَا لذْتَ بالصَّمتِ اسْتَشَارَك

فإذا لَم تستَطِعْ

كَلّفَ بالأمْرِ صِغَارَك!

هو حتى عندما يغمض عينيك يراك

فالشاعر يعني هنا أن من صفات المخبرين أنهم يقتفون ويتبعون أثر الناس لدرجة أنهم لا يغفلون عن إحصاء شيء، فهو يعلم مقدار ما تفكر فيه، وإن عجز عن ذلك كلف من يراقبك ويعلم عنك كل شيء، والأدهى من ذلك أنه يراك وهو مغمض العينين، بمعنى يعرف مسبقا ما تريده وإن كان بعيدا عنك، فلا مفر منه، وهذه الحجة الأخيرة أقوى للتدليل على الرقابة الشديدة.

فهذا الرابط، يربط بين ثلاثة حجج هي:

– يستشيرك ليعرف ما يريد

---

[237] ينظر، اللغة والحجاج، العزاوي أبوبكر، ص64 ، 65.

[238] الديوان، ص45.

- يكلف من يراقبك

- يراك عندما يغمض عينيه

وكلها تخدم نتيجة واحدة هي الرقابة وإحصاء كل شيء، والحجة الواردة بعد الرابط حتى (يراك عندما يغمض عينيه) هي الحجة الأقوى، وتترتب في أعلى درجات السلم.

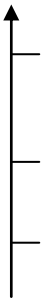

يراك وهو مغمض العينين

يكلف من يراقبك

يستثيرك .

الرقابة في إحصاء كل شيء

2-1-2- العوامل الحجاجية: Operateurs Argumentatifs

ميز ديكرو بين نوعين من الأدوات اللغوية التي تحقق الوظيفة الحجاجية، أما النوع الأول فيربط بين الأقوال (الروابط الحجاجية)، وأما الثاني فيكون داخل القول الواحد وهو ما يطلق عليها بالعوامل الحجاجية، كالحصر والاستثناء، ومن هذه العوامل الحجاجية:

- القصر ب (ما وإلا)، و (ليس وإلا) :

تترتب الحجج حسب درجاتها الحجاجية، بواسطة تراكيب تتضمن الأداتين * (ما وإلا)، و(ليس وإلا) في سلم واحد، وإلا هذه ليست استثناء، "وإنما هي مسبوقة بنفي أداة قصر،

* ويدخل ضمن (ما ...وإلا) كل ما كان مؤكدا بإلا مسبوقا بأداة نفي مثل (ما، إن، لا، وهل المستعملة في النفي، ولن، وليس)، ينظر، في النحو العربي نقد وتوجيه، مخزومي مهدي، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط 2، 1406ه ، 1986م، ص239.

ووظيفتها قصر ما قبلها على ما بعدها، والقصر توكيد وإيجاب أبدا"[239] يختلف كل الاختلاف عن أسلوب الاستثناء، فالعامل (ما ... إلا) "عامل يوجه القول وجهة واحدة نحو الانخفاض"[240] .

وهذا ما نراه ماثلا في خطاب الشاعر أحمد مطر يقول:[241]

فَمَالنَا

في البَرْدِ لا نلبَسُ إلا عريناَ؟

ومَالنَا

فِي الجُوع لا نَأكلُ إلَّا جُوعَنَا

استعمل الشاعر العامل (ما...إلا) لإقناع المتلقي بأحقيتهم بالتمتع والاستفادة من الثروات فهي ملك لهم لا يجوز أن تسلب منهم ويستفيد منها غيرهم، وهذا الأسلوب عن طريق القصر يؤكد على ضرورة استرجاع حقوقهم المسلوبة منهم، ويوجه القول نحو وجهة هي (لا ينبغي أن نقف مكتوفي الأيدي ونتفرج على حقوقنا الضائعة).

والأمر ذاته في قوله:[242]

أنَا لسْتُ إلاَّ شَاعِرًا

أبْصَرْتُ نَارَ العَارِ

فَصَرَخْتُ: هُبّوا للنَّجَاة

يؤكد بهذا الأسلوب أن غيرته على وطنه وواجبه هما من دفعاه لأن يسلك هذا الاتجاه ويبادر إلى الدفاع عن حقوق الشعوب ويستنهض هممهم، إذ كرس شعره ليخدم قضايا وطنه وليحشد الصفوف ويوجههم إلى اتخاذ القرارات المناسبة.

---

[239] المرجع نفسه، ص240.

[240] الحجاج في اللغة، المبخوت شكري، ص381.

[241] الديوان، ص05.

[242] المصدر نفسه، ص12.

وهذا الأسلوب يقنع المتلقي، لأن الشاعر لم يلجأ إليه إلا للدفاع عن قضايا الوطن وكرامة شعبه، فهو شاعر رسالي لا يستطيع أن يرى الظلم ولا يحرك ساكنا أو يقف عاجزا.

كما أنه بلجوئه إلى هذا الأسلوب (ليس... إلا) يضع ذاته في أدنى السلم [243]، فهي حجة قوية له على التواضع، ودليل على أن عمله يمكن أن يقوم به أي مواطن شريف غيور على وطنه لا يرضى الذل والمهانة.

وكذلك في قوله:[244]

لَيْسَتْ هذه الأوْطَانُ إلاّ أضْرِحَة

قُسِّمَتْ أشْلاَؤُها

بيْنَ دبابٍ ونُسُور

فالعامل الحجاجي (ليس...إلا) يؤكد على أن بعض الأوطان أصبحت مقابر قسمت ونهبت خيراتها ما بين ولاة متخاذلين وأعداء متربصين ومتكالبين، والضحية في كل هذا هي الشعوب المستضعفة التي لا حول ولا قوة لها.

فالشاعر يستثمر هذه الأساليب، لإقناع المتلقي بفداحة الوضع، ودفعه إلى القيام بفعل ما أو لرفض الواقع والعمل على تغييره، وإشراكه في تحمل المسؤولية.

– القصر بإنما:

من أدوات السلم الحجاجي كذلك القصر باستعمال إنما، وهي أداة من معانيها التوكيد القاصر أو الحاصر،[245] أي توكيد مشدد، وتأتي "إثباتا لما يذكر بعدها، ونفيا لما سواه"[246]

---

[243] ينظر، استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص520.

[244] الديوان، ص15.

[245] ينظر، في النحو العربي نقد وتوجيه، المخزومي مهدي، ص238 ، 239.

[246] دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص235.

أي كأنما يصحح بها المخاطب حكما سابقا، وينفيه بحكم آخر تال للأداة (إنما)، وهذا الحكم لا يجهله المخاطَب، فيذكره بأمر معلوم وثابت، يقول في ذلك الجرجاني" لا تقوله لمن يجهل ذلك، ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويقر به إلا أنك تريد أن تنبهه" [247]، وفعلا نرى شاعرنا ينحو هذا النحو ويحاول تنبيه المتلقي وتذكيره بأن سبب كل مآسيه هم ولاة الأمر، يقول في ذلك:[248]

إنّمَا لا يبرأُ الحُكامُ فِي كُلّ

بلادِ العُرْبِ من ذنْبِ

الشُّعوب

فسبب مأساة الشعوب هو هؤلاء الحكام، وهذا الأمر معلوم للجميع حسب الشاعر إلا أنه يؤكد بكلامه ذلك ليدل على أن هذا الأمر ثابت فيهم وأنهم عرفوا به فوصفهم بالمعلوم الظاهر الذي لا يدفعه ناكر أو شاك، ليحملهم المسؤولية على ما ستؤول إليه الأوضاع.

3- حجاجية الاستعارة:

لا يقتصر دور اللغة على إثارة الانفعالات والعواطف في الخطابات الأدبية خصوصا الشعرية منها، وإنما تقدم حججا تستميل عقل المتلقي، بطرق عدة، ولعل من أولاها جذبا له وتأثيرا فيه أساليب البيان أو الصور البيانية.

والاستعارة باعتبارها إحدى هذه الوسائل تؤدي دورا بارزا في الإقناع والتأثير، كونها تمثل أرقى وأبلغ وأقوى الآليات اللغوية، لتحريك همة المتلقي إلى الإقتناع ، لا يلجأ إليها المخاطب، إلا لثقته بأنها أبلغ من الحقيقة حجاجا، تهدف إلى تغيير الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي.

ويعود الفضل في إخراج الاستعارة من حقل الدراسات البلاغية إلى الباحث برلمان Perlman الذي أعطاها بعدا حجاجيا[249]، بعدما كانت مجرد محسن بلاغي لا يخدم إلا الجانب الفني الجمالي.

---

[247] المصدر نفسه، ص254.

[248] الديوان، ص15.

[249] ينظر، الاستعارة بين أرسطو وشايم برلمان، الولي محمد، مجلة فكر ونقد.

أما علماء البلاغة القدامى فقد اعتبروها مقوما جماليا وإقناعا تأثيريا، "فالتمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبهة، فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم ، وإن كان حجاجا كان برهانه أنور وسلطانه أقهر وبيانه أبهر"[250]. نستدل من هذا الكلام على ميزة الاستعارة في تحقيق الحجاج والتأثير في النفوس، فلا يعلو بعدها أي قول، لأن استعمالها كحجة يؤدي بالملتقي إلى الإقتناع وتجعله يمعن عقله فيها محاولا إدراك حقائقها.

لقد استطاع المخاطِب (الشاعر) أن يقنع المتلقين باستعماله الاستعارات كحجج في الكثير من القصائد، حين رغب أن يقنع المتلقي ويشعره بخطورة الوضع، وضياع عرض العرب وشرفهم وتمزيق وحدتهم وتفرقهم.

ومن الاستعارات التي وردت في ديوانه، تلك التي عبر بها عن أوضاع البلدان العربية الداخلية، وضعف بعض ولاة أمرها المسيرين، يأتمرون وينتهون بأوامر الغرب، لا قرار لهم ولا رأي، حين شبه كل ذلك بالمسرحية على سبيل الاستعارة التصريحية، التي يراها الجميع ولا يحركون ساكنا. يقول في ذلك:[251]

ودِمَاءُ العِرضِ سَالتْ

وولاَّةُ الأمْرِ لا أمْرَ لهمْ

خَارجَ نصِّ المسْرحيَّة

كُلُّهم راعٍ ومسْؤُولٌ

عنِ التَّفريطِ فِي القَضيَّة

والأمر ذاته في قصيدة (الطفل الأعمى)، لما أراد أن يقنع المتلقي بحجم وخطورة وضع الأوطان، فالغرب يتربص بالعرب ينهش أراضيه م ويستبيحها من جهة، وولاة الأمر غارقون في

---

[250] أسرار البلاغة، الجرجاني، ص115.

[251] الديوان، ص25.

الأوهام، لقد صاغ هذه الاستعارة للدلالة على صعوبة الموقف الذي وضعت فيه الشعوب، تربص الأعداء من جهة وتخاذل ولاة الأمر من جهة أخرى.

يقول في ذلك:[252]

وَطَنِي مَازَالَ مُلْقى

مُهْملاً فوقَ الرَّصِيف

غارقاً في سَكراتِ الموْتِ

والوالي هو السِّكِين

والشَّعبُ هو النَّزِيف

شبه الوطن بالغريق الذي فقد الأمل في الن جاة وظل يتخبط في سكرات الموت على سبيل الاستعارة المكنية، وهو بهذا الوصف لا يهدف إلى خلق مشاعر الحزن والأسى ودفع الشعوب إلى فقدان الأمل، وإنما ليحسسهم بخطورة الوضع ودعوتهم إلى محاولة إنقاذ الوضع واستنهاض الهمم.

لجأ إلى هذه الصورة ليحقق فعالية أكبر وليحاجج على صدق دعوته، ليهبوا إلى نجدة وطنهم ولتوحيد صفوفهم.

ونراه في قصيدة (إذا الضحايا سئلت)، يصور الحالة بأحسن طريقة، فقد عبر عن ضياع الشعوب وعدم اهتدائها إلى رؤية الحقيقة ونعتها بالقافلة التي تسير دونما اتجاه، وهو تعبير دقيق يشرح الواقع وينقل تفاصيله بدقة.

يقودهم في ذلك الدليل إلى الهاوية، وفعلا يرى الشاعر أن سبب هذا التيه والضياع الذي نعته بالغرق بعض الولاة الذين قدّموا الكثير من التنازلات للغرب ورموا بالشعوب في مستنقع الضياع، ثم يراهم مكتوفي الأيدي وهم يشاهدون القافلة تتيه وتغرق، إذ شبهها بالسفينة التي تبحر دون أن يدري قائدها إلى أين، فهو سبب في غرقها ويقف عاجزا عن إنقاذها.

يقول الشاعر:[253]

---

[252] الديوان، ص21.

طالعْتُ في صَحيفَة الرَّحيل

قافلةً تائهةً

دَليلهَا يستُرُ قبْحَ فِعْلِه

بصبْرِهاَ الجَميل

رأيتُها تغرَقُ في دمَائِها

والدَّمعِ والعَويل

من شأن التائهة أن يعود أو يسترد عافيته ووضعه، ولكن المخاطِب هنا استعار لفظ ة الغرق ليدل على الضياع واللاعودة، وصعوبة استرداد الحق الضائع.

ثم يدافع أخيرا عن أفكاره ويحاجج بالاستعارة، باستحالة تغيير موقفه وتشب ثبفكرة الحرية والعدالة ونبذ العنف والظلم، ويدعو إلى التمسك بالأمل والصبر لتغيير الوضع، ورد كرامة الإنسان وشرفه المهدرين وحريته المسلوبة.

يقول في قصيدة الرماد والعواصف:[254]

مَضىَ عقدٌ على قطْعِ الجُذوُرِ

ولم يَزَلْ رَأسِي

يُصَارِعُ بالرَّمادِ عواصِفَ اليَأْسِ

ومَازالتْ حِبَالُ الشَّوقِ تشْنقُني

علَى بوَّابَةِ الزَّمَنِ

لقد شبه الاضطهاد والحزن الذي ينتابه بالعواصف القوية التي من شأنها اقتلاع كل شيء، وإزالته لكنه لا يزال قويا يصارع كل ذلك متشبثا بفكره ونضاله في سبيل تحقيق ما يصبو إليه.

---

[253] المصدر نفسه، ص10.

[254] المصدر نفسه، ص11.

فالقول الاستعاري أكثر اقناعا من الكلام العادي، وبالتالي يندرج في أعلى درجات السلم باعتباره أقوى من الحقيقة في التدليل على النتيجة المرجوة .

في ضوء ما سبق تناوله، يمكن أن نصل إلى أن كل قول استعاري هو قول حجاجي [255] لاشتماله على آليتي الادعاء والاعتراض.

فمن شروط الادعاء، أن يكون المدعي معتمدا صدق دعواه وله الحق في أن يُطالب محاوره بأن يصدّق دعواه ويقتنع بما يُقيمه من أدله عليها، أما الاعتراض، فيكون بإيراد دعوى سابقة، ومطالبة المعترض المدعي بإثبات دعواه، وأن لا يسلم له إلا عند تمام اقتناعه بصحة هذا الإثبات[256].

نفهم من ذلك أن المخاطِب يدعي المطابقة بين طرفي الاستدلال البياني المستعار له والمستعار منه أي المشبه والمشبه به، مما يقتضي منه مبانية حجاجية للدلالة على قوة المعنى المجازي المبلغ الذي يكسب القول قوة إقناعية تجعل المتلقي يصدقها وتزيد في درجة قبوله وإقتناعه بالفكرة.

فالاستعارة هي بمثابة مقدمة كبرى طرفاها هما طرفا الصورة البيانية، وعليها يبني السامع جملة أخرى هي بمثابة لازم من لوازم بحكم العقل أو الاعتقاد، ومن ثم يصل إلى الاستنتاج، ما يجعل البيان ضربا من ضروب الاستدلال التي من قبيل التخيلات، غايتها الإقناع[257].

تسهم الأقوال الاستعارية في بناء الحجاج، وإنْ شئنا قلنا " لا حجاج بلا مجاز " [258]، تدفع المتلقي بعد عملية التأويل إلى الوصول إلى المعنى المقصود، ومن ثم الالتزام بالنتيجة والعمل بها.

وانطلاقا مما تم تناوله، نستخلص أن الاستعارة من أقوى الآليات اللغوية، وأكثرها فاعلية حجاجية، يوظفها المخاطِب لتحقيق أهدافه الحجاجية تتميز بوقتها الحجاجية العالية التي تتيح لها أن تتربع في أعلى درجات السلم بخلاف الأقوال العادية.

ويمكن توضيح ذلك من خلال الشكل الآتي:

[255] ينظر، اللسان والميزان، ص225.

[256] المصدر نفسه، ص232.

[257] ينظر، المصدر نفسه، ص311.

[258] ينظر، البلاغة والاتصال، جميل عبد الحميد، دار غريب لطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، ص166- 168.

تغرق في دمائها ـــــ الضياع وفقدان السبيل

تائهة ـــــ

فالاستعارة السابقة (رأيتها تغرق في دمائها) أقوى في التدليل على الضياع وفقدان السبيل من قوله (تائهة) على سبيل الحقيقة، ما يخوّل لها تبوأ أعلى درجات السلم الحجاجي.

وما يمكن أن ننتهي إليه هو أن خطاب الشاعر أحمد مطر حجاجي، لأنه يرمي إلى استمالة المتلقي ودفعه نحو تبني مواقف وأفكار معينة، من أجل التغيير، لذلك نراه يوظف لتحقيق ذلك كافة الوسائل والآليات الحجاجية.

خاتمـــة

خاتمة:

بعد دراستنا للخطاب الحجاجي في ديوان لافتات 2 لأحمد مطر، اهتدينا إلى جملة من النتائج، ولعلّ في مقدمتها أن الخطاب الشعري فيه من الحجاج الشيء الكثير، طالما أنه يسعى إلى التأثير في المتلقي وتغيير بعض قناعاته ومواقفه، ويمكن إجمال بقية النتائج كالآتي:

- حظي البحث التداولي بحضور مميز ولافت في مؤلفات علمائنا القدامى خاصة البلاغيين منهم، نلفي ذلك في جهود كل من الجاحظ، والعسكري والجرجاني والسكاكي، والقرطاجني...
- ثمة ارهاصات للبحث التداولي في تراثنا العربي، ترشد إلى حقيقة الاهتمام الموسع لدى علمائنا بمفاهيم الاستعمال والتداول، والاحتفاء بعناصر المقام وكافة ملابساته.
- تعددت تعاريف التداولية وتباينت، تباين يجد تفسيره في تنوع واختلاف المنطلقات أو المرجعيات التي تغذي كل توجه في مقاربته لهدا المفهوم، بحيث يعمد كل طرف إلى مقاربة التداولية انطلاقا من المنظور الذي يعتقده الأنسب والأمثل.
- كان للبحث التداولي، انطلاقا من أبحاث فلاسفة اللغة المنتمين إلى أكسفورد (أوستن Austin 1962، سورل Searle 1969، وغرايس Grice 1975) ضمن اشتغالهم باللغة الطبيعية أو العادية الفضل في توجيه الاهتمام بالجانب الاستعمالي للغة، وما نجم عنه من إجراءات أغنت الدراسات اللغوية المهتمة بتحليل الخطابات، لعلّ من أبرزها الإجراء الحجاجي.
- اعتبار الحجاج إحدى أهم وظائف اللغة، بوصفه فعلا خطابيا هادفا، يصدر عن ذات فاعلة، ترمي إلى إقناع واستمالة المتلقي والتأثير فيه، ذلك أن اللغة ليست أداة أو وسيلة للتخاطب والتواصل فحسب، وإنما هي وسيلتنا للتأثير في العالم وتغيير السلوك الإنساني من خلال مواقف.

- الحجاج فعالية خطابية تواصلية موجهه إلى مستقبل معين سواء كان فردا أو جماعة، يؤدي دورا هاما في اختيار استراتيجية الإقناع.
- تعود أهمية الحجاج في الدراسات الحديثة إلى العودة القوية للبلاغة تحت تسمية البلاغة الجديدة، حين ركزت على جانبين هما الحجاج والبيان كوسيلة أساسية من وسائل الإقناع.
- يهدف الحجاج إلى تقديم الأدلة والحجج التي ترمي إلى الدفاع عن فكرة ما أو تغييرها، وقد ارتبط بالدراسات الفلسفية خصوصا عند أرسطو Aristote وكذا الحجاج البلاغي في إطار جهود كل من برلمان Perlman وتيتيكاه Tyteca، وصولا إلى الحجاج التداولي النابع من رحم اللغة عند كل من ديكرو Ducrot وزميله أنسكومبر Anscombre.
- ثمة ملامح للحجاج في الدراسات التراثية، سيما جهود الجاحظ في نظرية البيان، والقرطاجي، والسكاكي، حين ركز هؤلاء على الوظيفة التأثيرية الإفحامية التي تمثل جانبا من جوانب البحث التداولي، الأمر الذي يستدعي الاهتمام بالتراث وإعادة قراءته.
- يتميز الحجاج L'argumentation عن كافة طرق الاستدلال، فهو غير حتمي ونتائجه غير ملزمة، بخلاف البرهان، يكتسي طابعا تداوليا جدليا، يأخذ بعين الاعتبار كافة الأبعاد والسياقات المقامية، وأحوال المتخاطبين.
- يرتبط الحجاج التداولي باللغة، يميل إلى التأثير في المتلقي عن طريق إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي لديه.
- يبرز الحجاج كمجال واسع وثري من الحقل التداولي، يقوم على أساليب وتقنيات ترمي إلى حمل الآخرين على الاقتناع بما يعرض عليهم والتأثير فيهم، ميدانه حقل اللغة مادامت وظيفتها الجوهرية هي الحجاج، وأن المعنى ذو طبيعة حجاجية.

- كان لكل من الباحثين ديكرو Ducrot وأنسكومبر Anscombre الفضل في ظهور نظرية حجاجية نابعة من اللغة، بعدما استلهما جهود أوستين وتلميذه سورل، وأغنيا الدرس التداولي وأضافا فعلين هما فعل الحجاج وفعل الاقتضاء.
- إن للحجاج بوصفه استراتيجية خطابية حضورا في مدونة شاعرنا، يتم تحققها بمراعاة السياق والمقام، انطلاقا من رصد الواقع، فيجند الشاعر لذلك كافة الآليات التي تجعله ينطلق من الصريح إلى الضمني.
- إن الحجاج في الخطاب الشعري مؤلف من حجج مترابطة ومنسجمة، كل حجة هي مقدمة لما بعدها، الأمر الذي يجسد سلطة الإقناع والتأثير، تفحم المتلقي وتجعله يمعن عقله لفهم ما يريده المُخاطب، كما أنه يشكل حجة كبرى نلمسها من خلال ما يدعو إليه الشاعر.
- من الآليات التي تسهم في تجلية الفاعلية الحجاجية داخل الخطاب، نجد الأفعال الكلامية خصوصا التوجيهية منها، الروابط والعوامل الحجاجية، السلم الحجاجي، والاستعارة.
- يحقق الخطاب الحجاجي فعل الإقناع بواسطة قوى أفعال الكلام المنجزة من خلال العبارات وما تحققه بدورها من آثار ونتائج مهما كانت صفتها.
- يندرج التضمين ضمن الطابع التلميحي للخطاب، الذي يجسده كل من الافتراض المسبق والقول المضمر، وما لهما من أثر في العملية الحوارية وفي تغيير المعتقدات وممارسة فعل الإقناع من دون سلطة قاهرة.
- تتماسك الحجج وترتابط داخل الخطاب بواسطة مؤشرات لغوية تضطلع بتوجيه الحجاج نحو نتيجة معينة، تنعت بالروابط والعوامل الحجاجية، فثمة روابط للتعارض الحجاجي تربط بين حجتين مختلفتين وتوجه الكلام نحو الحجة الواردة بعد الرابط باعتبارها أقوى، وروابط التساوق الحجاجي التي تعمل على إحكام الربط بين الحجج التي تخدم نتيجة واحدة وإن اختلفت في القوة.

- يميل الشاعر إلى استعمال هاذين النموذجين في سياق بناء وترتيب حججه فيلجأ إلى روابط التعارض حينما يرغب في إبراز موقفين متعارضين ليدفع المتلقي إلى التفكير ومن ثم إلى الاقتناع، في حين يميل إلى روابط التساوق حينما يعرض قضية واحدة مبررا أسبابها، ليوصل المتلقي إلى النتائج المترتبة عنها.
- تتفاوت الحجج الموظفة داخل الخطاب من حيث القوة والضعف، وهذه التراتبية هي ما يدعى بالسلم الحجاجي بوصفه فئة حجاجية موجهة نحو نتيجة معينة تكون صريحة أو ضمنية.
- وبما أن الخطاب الحجاجي عند أحمد مطر، خطاب أدبي، فإننا نلمس فيه حضور الوظيفة الجمالية الفنية، لكنها هنا تخدم الجانب الإقناعي، فالشاعر يزاوج بين الإقناع والإمتاع، وتحضر الاستعارة بوصفها أقوى الآليات الحجاجية في إحداث التأثير وبالجملة الإقناع، تعتبر بصدق عن حال الأوطان وأوضاعها، و لم تكن وسيلة لإدراك الحقيقة فحسب، بل شكلت مسوّغا لتغيير سياسي اجتماعي، ما مكن الشاعر من تحقيقه هدفه.

حاولنا في هذا البحث استجلاء الكثير من القضايا التي يثيرها الخطاب الشعري، لكنها ستظل مجرد محاولات تروم المقاربة التداولية الحجاجية، لا ندعي فيها الإتيان بالقول الفصل، وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نسأل الله التوفيق، والهداية إلى ما فيه خير.

معجم البحث

Acte	الفعل
Acte d’énonciation	الفعل التلفظي
Acte de l’argumentation	فعل الحجاج
Acte de langage	الفعل الكلامي
Actes de langage indirects	أفعال كلامية غير مباشرة
Acte de présupposer	فعل الاقتضاء
Acte phonétique	فعل تصويتي
Acte propositionnel	الفعل القضوي
Acte rhétique	الفعل الإحالي
Actes illocutoires	الأفعال الإنجازية
Actes locutoire	الأفعال التلفظية
Actes perlocutoire	الأفعال التأثيرية
Actes phatique	الفعل التأليفي
Adhérence	الاستمالة
Analogie	التمثيل
Apparence	الظاهر
Argument	الحجة
Argumentation	الحجاج
Arguments basés sur la structure du réel	الحجج المبنية على بنية الواقع
Arguments quasi logique	الحجج شبه المنطقية
Arguments qui fondent la	الحجج المؤسسة لبنية الواقع

structure du réel	
Assertif	الاخباريات
Communication	التواصل
Compétence	الكفاءة
Comporatifs	السلوكيات
Connecteurs argumentatifs	الروابط الحجاجية
Constatifs	تقريرية (وصفية)
Contenu-propositionnel	المحتوى القضوي
Contexte	السياق
Convaincre	أقنع
Convention	المواضعة
Déclaratifs	الإعلانيات
Démonstration	البرهنة
Descriptive	الوصفية
Directives	التوجيهيات
Discours	الخطاب
L’échelle argumentative	السلم الحجاجي
Enonciation	التلفظ
Ethos	الإيتوس (طبيعة الخطاب)
Exemple	المثل
Exercitifs	أفعال التمرس
Exposifs	التبينيات

Expressifs	التعبيريات
Fonction conative	الوظيفة الندائية
Fonction expressive	الوظيفة التعبيرية
Fonction métalinguistique	وظيفة ما وراء اللغة
Fonction phatique	الوظيفة الانتباهية
Fonction poétique	الوظيفة الشعرية
Fonction référentielle	الوظيفة المرجعية
Illusion descriptive	الوهم الوصفي
Illustration	الشاهد
Implicature conversationnel	الاستلزام الحواري
Intention	القصد
Jeu de langage	لعبة اللغة
Langue	اللسان
Logos	اللوغوس (مضمون الخطاب)
Loi d’abaissement	قانون الخفض
Loi d’inversion	قانون القلب
Loi de négation	قانون النفي
Maniéré de manière	مبدأ النوع
Maxime de qualité	مبدأ الكيف
Maxime de quantité	مبدأ الكم
Maxime de relation	مبدأ العلاقة
Métaphore	الاستعارة

Modalité	القالبية
Operateurs argumentatifs	العوامل الحجاجية
Orientation	التوجيه
Paralogisme	الحجاج المغالط
Parole	الكلام
Pathos	الباتوس (مشاعر المتلقي)
Performatifs	أدائية (إنجازية)
Persuader	اقتنع
Phénoménologies du langage	الظاهراتية اللغوية
Philosophie du langage ordinaire	فلسفة اللغة العادية
Possible	ممكن
Positivisme logique	الوضعانية المنطقية
Pragmatique	التداولية
Pragmatisme	الذرائعية/ النفعية
preuve	البرهان
Principe de coopération	مبدأ التعاون
Probable	محتمل
Procédé de dissuasion	تقنية الفصل
Procédé de liaison	تقنية الوصل
Promissifs	أفعال التعهد (الوعديات)

Psychologie cognitive	علم النفس المعرفي
Le questionnement	نظرية المساءلة
Raisonnement	الاستدلال
Réalité	الحقيقة
Scalaire	درجية
Sémantique	علم الدلالة
Sémiotique	السيميائية (علم العلامات)
Syllogisme	الاستدلال المنطقي (القياس)
Syntaxe	علم التركيب
Théorie de pertinence	نظرية الملاءمة
Verdictifs	الحكميات
Vraisemblable	المعقول

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم ، برواية ورش لقراءة الإمام نافع

1- المصادر والمراجع العربية:

1- **الأساليب المغالطية مدخلا في نقد الحجاج** ، النويري محمد، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب، منوبة، تونس، د.ت.

2- **استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية** ، الشهري عبد الهادي بن ظافر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004.

3- **أسرار البلاغة**، الجرجاني عبد القاهر، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة ط 3، 1991م.

4- **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، نحلة محمود أحمد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002م.

5- **البرهان في علوم القرآن** ، الزركشي، تح: محمد الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، بيروت، ط2، (ج2)، د.ت.

6- **بلاغة الحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال مايير** ، القارصي محمد علي، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب، منوبة، تونس، د.ت.

7- **بلاغة الخطاب وعلم النص** ، فضل صلاح، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 164، أغسطس، 1992م.

8- **البلاغة العربية أصولها وامتداداتها**، العمري محمد، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999م.

9- **البيان والتبيين**، الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط7، 1998م.

10- **تجديد المنهج في تقويم التراث**، عبد الرحمن طه، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2،د.ت.

11- **تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية** ، بلخير عمر، منشورات الاختلاف، ط1، 2003م.

12- **التداولية عند العلماء العرب** ، صحراوي مسعود، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2005م.

13- **التداولية والحجاج**، الحباشة صابر، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 2008م.

14- **التصور اللغوي في الفكر الاعتزالي**، لزعر مختار، دار الأديب، الجزائر، 2006م.

15- **التعريفات**، الجرجاني، تح: إبراهيم الأبياري، دار الريان، د.ت.

16- **التفكير اللساني في الحضارة العربية** ، المسدي عبد السلام، الدار العربية للكتاب، ط 2، 1982م.

17- **التواصل والحجاج**، عبد الرحمن طه، سلسلة الدروس الافتتاحية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أغادير، 1993م.

18- **الجنى الداني في حروف المعاني** ، المرادي، تح: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ، 1992م.

19- **الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة، برلمان وتيتيكاه**، صولة عبد الله، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب، منوبة، تونس، د.ت.

20- **الحجاج عند أرسطو** ، الريفي هشام، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب، منوبة، تونس، د.ت.

21- **الحجاج في البلاغة المعاصرة**، الطلبة محمد سالم محمد الأمين، دار الكتاب الجديد، المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.

22- **الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية** ، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، مكتبة المعرفة تونس، كلية الآداب منوبة، تونس، ط2، 2006م.

23- **الخصائص**، ابن جني أبو الفتح عثمان، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، ج2.

24- **الخطاب وخصائص اللغة العربية** ، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، المتوكل أحمد، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، الرباط، ط 1، 1431هـ، 2010م.

25- **دلائل الإعجاز** ، الجرجاني عبد القاهر، تح: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، 1982م.

26- **دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من خمسين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا** ، الرويلي ميغان والبازعي سعد، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2000م.

27- **ديوان لافتات2**، مطر أحمد، تموز، لندن، ط2، 1987م.

28- **السياق والنص الشعري**، آيت أوشان علي، دار الثقافة، إفريقيا الشرق، ط1، 2000م.

29- **الصناعتين**، العسكري أبو هلال، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، 1988م.

30- **عندما نتواصل نغير، مقاربة معرفية لآليات التواصل والحجاج** ، عشير عبد السلام إفريقيا الشرق، 2006م.

31- **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام**، عبد الرحمن طه، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000م.

32- **في البراغماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعج م سياقي** ، الصراف علي محمد حجي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010م.

33- **في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجا**، العمري محمد، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002م.

34- **في تداولية الخطاب الأدبي**، نواري سعودي أبو زيد، بيت الحكمة، الجزائر، 2009م.

35- **في الخلفية النظرية للمصطلح** ، صمود حمادي، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب، منوبة، تونس، د.ت.

36- **في اللسانيات التداولية – مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم-** ، بوجادي خليفة بيت الحكمة، الجزائر، 2009م.

37- **في النحو العربي نقد وتوجيه** ، مخزومي مهدي، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط 2، 1406هـ، 1987م.

38- **قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي** ، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 1995م.

39- **الكتاب**، سيبويه، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م.

40- **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي** ، عبد الرحمن طه، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998م.

41- **لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب** ، حمو ذهبية، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي وزو، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005م.

42- **لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب** ، الخطابي محمد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991م.

43- **اللغة والحجاج**، العزاوي أبو بكر، دار العمدة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1426هـ 2006م.

44- **محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة** ، بوقرة نعمان، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، 2006م.

45- **المدارس اللسانية أعلامها ومبادئها**، عزوز أحمد، دار الأديب، وهران، الجزائر، 2005م.

46- **مدخل إلى اللسانيات**، يونس محمد علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

47- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ابن هشام الأنصاري، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1991م.

48- **مفتاح العلوم**، السكاكي، تح عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.

49- **مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب** ، يونس محمد علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

50- **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، القرطاجي حازم، تح: محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1986م.

51- **نظرية الحجاج في اللغة**، المبخوت شكري، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب، منوبة، تونس، د.ت.

52- **النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية** ، طروس محمد، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1426هـ، 2005م.

53- **النحو الوافي، مع ربطه بالأساليب الرفيعة، والحياة اللغوية المتجددة** ، حسن عباس، دار المعارف بمصر، ط3، ج2، 1966م.

54- **الوظائف التداولية في اللغة العربية**، المتوكل أحمد، دار الثقافة، المغرب، ط1، 1985م.

2- المصادر والمراجع المترجمة:

1- **الاستعارات التي نحيا بها** ، لا يكوف جورج، وجونسون مارك، تر عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1996م.

2- **البلاغة والأسلوبية**، بليث هنريش، تر: محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999م.

3- **التداولية اليوم علم جديد في التواصل**، روبول آن، موشلار جاك، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة لطيف الزيتوني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

4- **علم اللغة العام**، دي سوسير فردينان، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، ط3، 1985م.

5- **علم النص مدخل متداخل الاختصاصات** ، فان ديك، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة، القاهرة، ط2، 2005م.

6- **القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان** ، ديكرو أزوالد، سشايفر جان ماري، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2007م.

7- **مدخل إلى اللسانيات التداولية**، دلاش الجيلالي، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992م.

8- **المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب** ، مانجونو دومينيك، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008م.

9- **المقاربة التداولية**، أرمنكو فرانسواز، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، 1986م.

10- **الملفوظية**، سرفوني جان، تر: قاسم المقداد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998م.

11- **النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي** ، فان ديك، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، 2000م.

12- **نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام** ، أوستين جون لانكشو، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، 1991م.

3- القواميس والمعاجم:

3-1- باللغة العربية:

1- **لسان العرب**، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، (مج1، مج2)، 1990م.

2- **المحكم والمحيط الأعظم** ، ابن سيدة، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، مج2، 2000م.

3- **المعجم الوسيط**، ضيف شوقي، عبد العاطي عطية شعبان، حامد حسين أحمد، مراد حلمي جمال، النجار عبد العزيز، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط 4، 1425ه، 2004م.

3-2- باللغة الأجنبية:

1-Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, Moeshler Jaques et Reboul Anne, Editions du seuil, Paris, 1994.

4- المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

1- l'argumentation dans la langue, Anscombre. J.c et Ducrot. O, Pierre Mardaga éditeur, Bruxelles, 1997.
2- Dire et ne pas dire, Ducrot. O, Herman éditeur, 3éme édition, Paris, 2003.
3- Quand dire c'est faire, Austin. J.L, Traduction de Gilles Lane, éditions du seuil, paris, 1970.

5- المجلات ومواقع الأنترنت:

1- **الاستعارة الحجاجية بين أرسطو وشايم برلمان**، الولي محمد، مجلة فكر ونقد
Http: //ww w. Fikrwanakd .aljabriabed. net (m61 – 07 alwali. htm)
2- **الإقناع المنهج الأمثل للتواصل والحوار نماذج من القرآن والحديث**، بلعلي آمنة، مجلة التراث العربي، دمشق،العدد89، مارس، 2003م.
3- **بلاغة الحوار المجال والحدود**، العمري محمد، مجلة فكر ونقد.
Http: //www .Fikrwanakd .aljabriabed. net (m61- 04 alumari . htm)

4- **البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم "سورة الأنبياء نموذجا"** ، بن عيسى عبد الحليم، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد 102، 2006م.

5- **تهافت الاستدلال في الحجاج المغالط** ، الباهي حسان، مجلة فكر ونقد، العدد 61، سبتمبر 2004م. Http: //www .Fikrwanakd .aljabriabed. net

6- **التلفظ والإنجاز**، علوي عبد السلام إسماعيلي، مجلة فكر ونقد
Http: //www .Fikrwanakd. aljabriabed. net (n58-08 abed slam alawi . htm)
7- **حول مفهوم الحجاج في الفلسفة، مقاربة فلسفية لسانية ديداكتيكية** ، رويض محمد، مجلة فكر ونقد. Http: //www .Fikrwanakd. aljabriabed.net (n26-04 rueyd – htm)
8 - **الخطاب الإشهاري والقيمة الحجاجية** www.google.com/ Search
9- **فاعلية الإصابية في تأويل الخطاب اللغوي مقاربة تداولية** ، بن عيسى عبد الحليم، مجلة مطارحات في اللغة والأدب، معهد الآداب واللغات، غليزان، الجزائر، العدد02، مارس 2010م.
10- **من لسانيات الجملة إلى علم النص** ، إبرير بشير، مجلة الموقف الأدبي، العدد 401 السنة الرابعة، أيلول، 2004م.
11- **من المنطق على الحجاج، حوار مع العزاوي أبي بكر**، حاوره علوي حافيظ إسماعيلي، مجلة فكر ونقد. Http: //www .Fikrwanakd .aljabriabed. net (m61- 08 azzawi . htm)
12- **الموسوعة العالمية للشعر العربي**.http://ar.wikipedia.org.
13- **نظرية الحجاج**، بوقرة نعمان، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق العدد 407، آذار 2005م. www.awu -dam-org

6- بحوث أكاديمية (رسائل جامعية)

1- **التداوليات النصية، مقاربة في فهم الخطاب وتأويله** ، بلقندوز هواري، رسالة دكتوراه، إشراف أحمد يوسف، جامعة وهران، 2009م، 2010م.
2- **ترجمة الوظيفة الحجاجية في الخطاب السياسي من المنظور السوسيولساني** ، بن ديمية كريمة، رسالة ماجستير، إشراف فرقاني جازية، جامعة وهران، 2006م، 2007م.

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحة
إهداء	
مقدمة	أ - و
مدخل: التداولية المبادئ والإجراءات	1 - 17
1- التداولية النشأة والمفهوم	2
1-1- المرجعية المعرفية للسانيات التداولية	6
1-2- أهم المفاهيم التداولية	9
2- النظريات التداولية	12
3- التداولية في التراث العربي	14
الفصل الأول: صور الخطاب الحجاجي	18- 46
أولا- ماهية الحجاج وخصائصه	20
1- مفهوم الحجاج	20
2- ضوابط التداول الحجاجي	28
3- خصائص الخطاب الحجاجي	29
ثانيا – أصناف الحجاج وأهم نظرياته	34

1- أصناف الحجاج	34
1-1- الحجاج التوجيهي	35
1-2- الحجاج التقويمي	35
2- الحجاج في الدراسات الغربية	36
2-1- الحجاج عند أرسطو	37
2-2- الحجاج عند برلمان وتيتيكاه	38
2-3- الحجاج عند ميشال مايير	39
2-4- الحجاج عند ديكرو وأنسكومبر	40
3- الحجاج في الدراسات العربية	40
4- جذور الحجاج في التراث العربي	42
الفصل الثاني: الحجاج التداولي المفهوم والآليات	76-47
أولا- الأفعال الكلامية والحجاج	49
1- الحجاج عند أوستين	49
2- الحجاج عند سورل	55
3- قواعد المحادثة عند غرايس والحجاج	58
ثانيا – الحجاج التداولي	61
1- الحجاج التداولي مفهومه ومبادئه	61

2- خصائص الحجاج التداولي	65
3- آليات الحجاج التداولي	65
3-1- السلم الحجاجي	65
3-1-1- قوانين السلم الحجاجي	67
3-2- الروابط والعوامل الحجاجية	69
3-3- المبادئ الحجاجية	70
4- الاستعارة الحجاجية	71
5- حجاجية الفعل الكلامي	74
الفصل الثالث: بنية الحجاج في الديوان	125-77
أولا – البعد الحجاجي للخطاب الشعري	79
1- الخطاب الشعري والحجاج	79
2- استراتيجية التأثير	81
2-1- مبادئ التخاطب	81
2-2- البعد التلميحي للخطاب	87
3- الأفعال الكلامية في عالم الخطاب	90
ثانيا – آليات الإقناع في الخطاب الشعري	97
1- التقنيات اللغوية	98

1-1- ألفاظ التعليل	98
1-2- التأكيدات الأسلوبية	104
1-2-1- المقابلة بين السبب والنتيجة المنطقية	104
1-2-2- التكرار	105
2- السلم الحجاجي	106
2-1- وسائل السلم الحجاجي	112
2-1-1- الروابط الحجاجية	112
2-1-2- العوامل الحجاجية	117
3- حجاجية الاستعارة	120
* **خاتمة**	126
* **معجم البحث**	131
* **قائمة المصادر والمراجع**	137
* **فهرس الموضوعات**	146